الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

كلية الآداب واللغات الأجنبية

قسم اللغة والأدب العربي

- محاضرات المدارس النحوية -

المستوى: السداسي الخامس

التخصص: لسانيات عامة

المشرف على المقياس: الأستاذ الدكتور أحمد قريش

المدارس النحوية:

اختلفت آراء الدارسين المحدثين حول المدارس النحوية بين الإثبات والرفض، ورست على ثلاثة آراء:

1) لا وجود للمدارس النحوية إطلاقا، وإنما هي تجمعات جغرافية، ولا وجود لمدارس نحوية تتميز كل منها بأسلوبها الخاص ومنهاجها، وتطبق هذه المجموعات أصولا واحدة وإن اختلفت في الفروع، ومن أصحاب هذا الرأي سعيد الأفغاني، وعلى أبو المكارم.

2) لا وجود إلا لمدرسة نحوية واحدة، وهي مدرسة البصرة، وأنكر ممن تبنى هذا الرأي وجود مدرسة الكوفة، منهم الدكتور إبراهيم السامرائي، وقد سبقه إلى القول بهذا "جوتولد فايل".

3) أثبت فريق من النحويين وجود مدرستين بصرية وكوفية وتردد في القبول بوجود مدرسة بغدادية، ويمثل هذا الرأي الدكتور مهدي المخزومي، وقد تابعوا في ذلك الزبيدي في طبقاته حيث نظم أفراد المدرسة البغدادية مع رجال المدرسة البصرية والكوفية على حسب اتجاهه وميوله[1]. وما انطبق على المدرسة البغدادية ينطبق على بقية المدارس الأخرى الأندلسية والمصرية.

المذهب:

تعريف المذهب

لغة: مصدر ميمي يطلق على الطريق ومكان الذهاب وزمانه، والجمع: **مَذَاهِبُ**، وذهب به وأذهبه غيره: أزاله. والمذهب: المعتقد الذي يذهب إليه. **والمَذْهَبُ:** طريقة، قصد، رأي، وجهة نظر. وما يُدرى لفلان **مذهب:** رأي ثابت. وهو عند العلماء: مجموعة من الآراء والنظريات العلمية والفلسفية ارتبط بعضها ببعض ارتباطًا يجعلها وحدة منسقة.

ومن المذاهب المعروفة:

المذهب المادِّيّ: **مذهب** فلسفيّ يعتبر المادّة الواقع الوحيد، وينكر وجود الله والرُّوح، والعالم الآخر

مذهب الاحتمال: **وهو مذهب لا** يؤمن ببلوغ اليقين المطلق مع إمكان ترجيح رأي على آخر.

([1]) المدارس النحوية أسطورة وواقع د. إبراهيم السامرائي، دار الفكر، ط1، 1987م: 139.

مذهب المَنْفَعة: وهي نظريّة أخلاقيّة تقر أنّ كلّ الأفعال يجب أن توجَّه نحو تحقيق القدر الأكبر من السعادة لأكبر عدد من الناس.

مذهب الدِّيموقراطيَّة: نظام يعني حكم الشعب لنفسه، يجعل كل شخص يعتقد أن لديه فرصًا متساوية للمشاركة بحرِّيّة كاملة في قيم المجتمع.

مَذْهب الجَبْر: وهو **مذهب** يرى أصحابُه أنّ العباد مُجْبَرون على أفعالهم لا اختيار لهم فيها حيث يسندون الفعل إلى الله تعالى، وهو خلاف القدر الذي هو إسناد فعل العبد إليه لا إلى الله تعالى.

مذهب الدَّاديَّة: وهو **مذهب** في الفنّ والأدب يدعو إلى الحرِّيَّة المُطلقة والثورة على التقاليد، وقد مهّد الطريقَ أمام السرياليّة وغيرها من الحركات المتطرِّفة.

مَذَاهِبُ الإِسْلاَمِ أَرْبَعَةٌ : الْمَالِكِيُّ وَالشَّافِعِيُّ وَالْحَنْبَلِيُّ وَالْحَنَفِيُّ وَالْمَذْهَبُ هُوَ مَجْمُوعَةُ الآرَاءِ وَالْمُعْتَقَدَاتِ فِي مَجَالٍ دِينِيٍّ أَوِ اجْتِمَاعِيٍّ أَوْ فَلْسَفِيٍّ.

والمذهب مصطلح قديم استخدمه المفكرون والنقاد للدلالة على الخصوصية التي يرى بها المبدع شيئاً ما أو أمراً ما ذات أكثر من بعد ومستوى، فلا يمكن أن نسمي أيَّ رؤية مذهباً ما لم تكن لها خصوصية متمايزة مستقلة.

مقومات المذهب هي:

1) الخصوصية: أي خصوصية الرؤية التي يتخذها الفيلسوف أو المفكر، ويتميز بها عن غيره من المذاهب الأخرى السابقة والراهنة للمفكر أو الفيلسوف.

2) الوحدة: ما يقتضيه المذهب من مقومات بعد الخصوصية هو الوحدة المذهبية، فلا يمكن إطلاق اسم مذهب على مجموعة من أفكار على أهميتها وكثرتها إذا لم تجمعها رابطة واحدة من المبادئ أو ربما المبدأ الواحد، أي انتظام الأفكار بمبدأ واحد أو أكثر هو الذي يحولها من أفكار إلى فكرة مذهب.

3) التكاملية: أي تكاملية الرؤية، فتقديم بعض الأفكار حتى ولو كانت تقوم على مبدأ أو مبادئ منسجمة، وحتى لو طبعت بالخصوصية، فهذا غير كافٍ لإطلاق اسم المذهب عليها إذا لم تكن رؤية متكاملة لمختلف الجوانب التي يتطلبها المذهب الفكري.

4) الكفاية: وهو مقوم ضروري لا يمكن الاستغناء عنه، فلا بد أن تكون المبادئ الأساسية للمذهب كافية ليبنى عليها المذهب، وأن يكون المذهب كافياً لتفسير مجال المذهب أو فهم نشاطه جوانبه المختلفة و الأساسية.

5) الإديولوجية: وهو موضع خلاف، يرى بعضهم أن الاستناد إلى الايديولوجيا ليس مطلباً لتكوين المذهب أو تأسيسه، وإنما هي جزء من مكوناته. فلا يخلو المذهب من قاعدة أو

أساس ايديولوجي هو البنية الفكرية التي يقوم عليها فكر الفيلسوف أو نظريته، فالايديولوجيا قائمة في كل فكر وكل نظرية، فلا توجد فلسفة ولا يوجد فكر بلا انتماء سابق على تكون الخصوصية الفكرية أو الفلسفية للمفكر أو الفيلسوف.

الايديولوجيا إذن هي جزء من مقومات المذهب يحدد هويته ويوجه المفكر أو الفيلسوف في اختياره الأفكار والمناهج والأدوات.

أما مفهوم المذهب النحوي، فقد انتقل إليه هذا المصطلح من العلوم الفقهية، وأصبح يعبر عن مجموعة مبادئ وآراء متصلة ومنسقة لمفكر ما أو لاتجاه ما.

وفي التعريف النحوي الدقيق، هو: طائفة من أولي العلم الواحد تتبنى مذهبا نحويا، وتقول برأي نحوي مشترك وتجمعهم وحدة أصوله ومناهج البحث فيه وإن تعددت أوطانهم واختلفت أجناسهم، ومهما تنوعت شخصياتهم وتباعدت آراؤهم في الفروع .

الاتجاه:

تعريف الاتجاه

اِتِّجَاه: مصدر إِتَّجَهَ، اتَّجَهْتُ، أَتَّجِهُ، اِتَّجِهْ، مصدر اِتِّجَاهٌ، اِتَّجَهَ إِلَيْهِ: قَصَدَهُ، أَقْبَلَ عَلَيْهِ، اِتَّجَهَ شَمَالَ البِلاَد: تَوَجَّهَ جِهَةَ لَمْ يَكُنْ يَتَّجِهُ الاتِّجَاهَ الصَّحِيحَ، اِتَّجَهَ إِلَيْهِ بِأصَابِع الاتِّهَامِ: اِتَّهَمَهُ، اِتَّجَهَ لَهُ رَأْيٌ: سَنَحَ، عَرَضَ.

ومن معاني الكلمة:

ـ مَشَى فِي اِتِّجَاهٍ مُعَاكِسٍ: فِي وِجْهَةٍ مُعَاكِسَةٍ.

ـ اِخْتَرتُ اتِّجَاهًا عِلْمِيّاً: مَسَاراً.

ـ تبنّى اتِّجَاها سِيَاسِيًّا مَعْرُوفًا: مَيْلٌ، اِسْتِجَابَةٌ لِمَوْقِفٍ اِتِّجَاهَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ

ـ أُحاديّ الاتّجاه: ذو اتّجاه واحد.

ـ تختلط عليه الاتّجاهات: أي الطُّرق.

واصطلاحا هو ميل مستقر إلى حد كبير للاستجابة بطريقة متسقة لبعض الأشياء، والمواقف، والأفراد، أو مجموعة معينة من الأفراد، وتتضمن الاتجاهات مجموعة من المشاعر والعواطف موجهة لأهداف معينة، فعندما نسأل طالبا عن اتجاهه ناحية أستاذه، فأول ما يفكر فيه، هو مدى تفضيله أو حبه لأستاذه. ولا يتكون الاتجاه ولا يتم التعبير عنه إلا بحضور موضوعه.

والاتجاه حالة داخلية لا يمكن ملاحظته بطريقة مباشرة، فهو بناء افتراضي يتجسد في رابطة في الذاكرة طويلة المدى بين موضوع الاتجاه وتقييمه، ويتم الاستدلال عليه من آثاره على استجابات الفرد.

ويعد أكثر خصوصية عن القيم، والتي تملي فقط تفضيلات عامة، فعلى سبيل المثال، قد تعطي قيمة عالية للدراسة، ولكنك في الوقت نفسه قد لا تحبها.

وينطوي تعريف الاتجاهات على الاستقرار النسبي في ظل الظروف الطبيعية، فإذا كنت حقيقة لا تحب أستاذك اليوم، فمن المرجح ألا تحبه غدًا.

وليس لجميع الاتجاهات نفس القوة، فبعضها أقل قوة عن غيرها، ومن ثم يمكن أن تكون قابلة للتغيير، فإن كان اتجاهك سلبيًا تجاه أستاذك نتيجة موقف معين تعرضت له معه، فإنه من المحتمل أن يتغير هذا الاتجاه، إذا ما زادت قوة علاقتك مع أستاذك في مواقف أخرى إيجابية. والاتجاه لا يتكون ولا يتم التعبير عنه إلا بحضور موضوعه.

وبهذا تنطوي الاتجاهات على كونها ميول للاستجابة لهدف معين (شيء، فرد، جماعة)، وتؤثر في سلوك الفرد تجاه هذا الشيء، أو الفرد، أو الجماعة.

ونستخلص من ذلك كله أنّ:

ـ الاتجاه تنظيم مكتسب، له صفة الاستمرار النسبي للمعتقدات التي يعتقدها الفرد نحو موضوع أو موقف، ويهيئه للاستجابة، باستجابة تكون لها الأفضلية عنده.

ـ الاتجاه درجة العاطفية الايجابية أو السلبية المرتبطة بموضوع نفسي معين. ويقصد بالموضوع النفسي أي رمز أو شعار أو شخص أو موضوع أو مؤسسة أو فكرة يمكن أن يختلف الناس في عاطفتهم تجاهها إيجابياً أو سلباً.

ـ الاتجاه استجابة غير ظاهرة نتيجة لحافز، وتعد ذات مغزى اجتماعي في مجتمع الفرد.

ومع اختلاف وتعدد الآراء السابقة في وضع تعريف محدد للاتجاه إلا أن مفهوم الاتجاه لابد أن يتضمن الخصائص التالية:

- وجود قضية أو موضوع ينصب عليه الاتجاه.

- الاتجاه يحمل حكماً أو تقييماً.

- الاتجاه باقٍ نسبياً.

- الاتجاه ينبئ بالسلوك.

كما يمكن إجمال أهم هذه وظائفه فيما يلي:

ـ الاتجاه يحدد منحى السلوك ووجهته.

ـ ينظم العمليات الدافعية والانفعالية والمعرفية تجاه بعض الموضوعات الموجودة في المجال الذي يعيش الفرد فيه.

ـ الاتجاهات تنعكس في سلوك الفرد وأقواله وأفعاله.

ـ تيسر اتخاذ القرارات في المواقف المختلفة مع توفير قدر من الوحدة والاتساق لها.

ـ دافع أساس لظهور أنماط سلوكية شبه ثابتة نحو الأشياء والموضوعات والأشخاص.

ـ فهي انعكاس لمدى مسايرة الفرد لمعايير الجماعة التي ينتمي إليها ولقيمها ومعتقداتها.

ـ تحمل الفرد على أن يشعر ويدرك ويفكر ويسلك بطريقة أو طرائق محددة.

المدرسة:

مفهوم المدرسة

لغة مصدر ومشتقة من الفعل الثلاثي دَرَسَ، ودرس الشيء يعني جزَّأهُ، نقول دَرَسَ الشيْءُ والرَّسْمُ يَدْرُسُ دُرُوساً بالضّمّ: عَفَا. ودَرَسَتْهُ الرِّيحُ دَرْساً: مَحَتْه إذا تَكَرَّرَتْ عليه فعَفَّتْه. ودَرَسَهُ القَوْمُ: عَفَّوْا أَثَرَه. ومِن المَجَازِ: دَرَسَ الكِتَابَ يَدْرُسُه بالضَّمّ ويَدْرِسُه بالكَسْر دَرْساً بالفَتْحِ ودِرَاسَةً بالكَسْرِ ويُفْتَحُ ودِرَاساً ككِتَابٍ: قَرَأَه. يعني كرّرَ قراءَتَه ليَحفَظه ويفهَمه، ودرس الدرس يعني جزّأ الدرس ليَسْهُل تعلّمُه على أجزاء[2].

المُدَارَسَةُ والدِّرَاسَةُ: القِرَاءَةُ ومنه قولُه تعالَى: "وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ"، الأنعام: 105.

والمُدَرِّسُ: الكثير الدرس والتِّلاوة في الكتاب. والمَدْرَسُ: الموضع يُدْرَس فيه، جمع مَدَارِس: مكان الدَّرس والتعليم. والمدرسة: جماعة من الفلاسفة أو المفكرين أو الباحثين تَعْتنق مذهباً معيناً، أو تقول برأيٍ مشترك. ويقال: هو من مدرسة فلانٍ: على رأيه ومَذْهَبِه. جمع مَدَارِس[3].

([2]) لسان العرب، ابن منظور الإفريقي (ت711هـ)، دار لسان العرب، بيروت، مادة: د ر س.

([3]) تاج العروس: المرتضى الزبيدي، طبعة الكويت،1969م، مادة: (د ر س).

اصطلاحا: فهي مجموعة من الآراء يتواضع عليها مجموعة من الناس، تُشكّل رؤيةً ما، لهم طريقة في التفكير مميزة، فينهجون منهجاً للوصول إلى هدفٍ ما.
أما مدارسة النحوية فهو مصطلحٌ يشير به إلى اتجاهاتٍ ظهرت في دراسة النحو العربي، اختلفت في مناهجها في بعض المسائل النحوية الفرعية، ونسب كلّ اتجاه منها إلى إقليمٍ عربيٍ معيّن، فكانت هناك مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة، ومدرسة بغداد وهكذا.

ومن هنا يمكن أن نلجأ إلى التقسيم التالي:

1) نسب العلماء إلى أمصارهم وبلدانهم وهذا قد يوحي بوجود مذهب خاص بهم وقد لا يوحي بذلك.
2) تقسيم مناهجهم وطرقهم وأطلق عليها (مذهب) وهي مرحلة متأخرة عن الأولى.
3) إطلاق اسم (مدرسة) في الوقت المعاصر على المذهب أو على أهل الأمصار.

ولكنّ بعضهم لم يطلقوا على تلك المدارس اسم (مدرســـة) مستندين على مفهوم المدرسة بحكم أنّ كلّ تلك المدارس ترمي إلى هدفٍ واحد، وهو النحو العربي، بثوابت كثيرةٍ ومشتركةٍ فيما بينهم، وكان اختلافهم قليلا في بعض الفروع. لذلك أطلقوا عليها اسم المذاهب، أي: مذهب البصرة ومذهب الكوفة.
وفضل بعض العلماء تسمية تلك المذاهب باسم المدرســة النحويــة، ولا سيما علماء العصر الحديث بسبب الخلاف النّحوي.
فمصطلح مذهب يطلق على الطريقة التي سار عليها أحد النّحاة الذي سببه الخلاف النحوي بشكلٍ عام، فنقول مذهب البصرة والكوفة، وكذلك مذهب سيبويه والكســائي لاختلاف المذهبين البصريّ والكوفيّ في الفروع فقط، أما الأصول فقد اتفق عليها جمهور العلماء دون خلاف.

وما يشير إلى خلوّ مصطلح (مدرسة) من التراث العربي القديم بأن تدلّــل على المنهج النحوي، آراء الكثير من العلماء.

ومن هؤلاء العلماء الذين رتبوا علماء النحو حسب المناطق التي ينتسبون لها منهم[4] ابن سلام الجمحي (تـ231هـ) الذي ترجم لأبي الأسود الدؤلي وعدّه مؤسس علم العربية وليحيى بن يعمر ولعبدالله بن إسحاق الحضرمي ولأبي عمرو بن العلاء وانتهى بالخليل بن أحمد الفراهيدي ولم ينسبهم إلى مدرسة وإنما عدهم من أهل البصرة [5]. وجاء بعده أبو محمد

([4]) المدارس النحوية: د. خديجة الحديثي، ط3، دار الأمل - اربد – الأردن، 1422 هـ/ 2001م: 13.

([5]) نفسه: 7.

عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (تـ 276هـ) الذي عقد في كتابه "المعارف" بحثا لرواة الشعر وأصحاب الغريب والنحو وترجم بإيجاز لمعظم من اشتهر بهذه العلوم من البصريين والكوفيين ... ويلاحظ في ترجمته لهم أنه لم يذكرهم مقسمين إلى بصريين وكوفيين معتمدا على شهرتهم ولم يسمهم بمذهب أو مدرسة[6].

وجاء بعدهما أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (تـ351هـ) وألف كتاب "مراتب النحويين" ورتبه حسب الزمن مبتدئا بالبصريين لأن النحو في البصرة كان أقدم نشوءا منه في الكوفة ... وكانت أول إشارة إلى الكوفة عند ترجمته لأبي جعفر الرؤاسي حيث قال : وممن أخذ عن أبي عمرو أبو جعفر الرؤاسي عالم الكوفة[7].

أما من استعملوا كلمة (مذهب) وقسم النحاة إلى مجموعات بحسب البلدان التي عرفوا بها فكان أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (تـ 379هـ) خلال ترجمته لأصحاب ثعلب فاستخدم عبارات "مذهب الكوفيين" و "مذهب البصريين" و "المذهبين" ويريد بذلك أن النحو متابع لآراء نحاة الكوفة أو لآراء نحاة البصرة أو لنحاة المدينتين[8]. فقال عن أبي موسى الحامض: " كان بارعا في اللغة والنحو على مذهب الكوفيين"، وقال عن ابن كيسان "كان بصريا كوفيا يحفظ القولين ويعرف المذهبين"[9].

ثمّ جاء بعده ابن النديم (تـ 385 هـ) واتبع التقسيم نفسه إلا أنه سمى نحاة بغداد "من خلط المذهبين"[10].

وبعدهما جاء أبو البركات الأنباري (تـ577هـ) فاتبع في كتابه " نزهة الألباء في طبقات الأدباء" التسلسل الزمني ولم يذكر كلمة مذهب إلا مع البغداديين في أغلب الأحوال، كقوله: " وكان يخلط المذهبين " أو " وكان قيما بمذهب البصريين والكوفيين "[11].

واستعمل الدارسون المحدثون مصطلح "المدرسة " بمعنى المذهب النحوي، متأثرين في ذلك بالغربيين الذين شاع عندهم هذا المصطلح بمفهوم المذهب ولا سيما في الدراسات الأدبية، كما عرفت عندهم المدرسة الكلاسيكية في الأدب والفن والمدرسة الرومانتيكية

([6]) نفسه:8..

([7]) نفسه: 10 .

([8]) المدارس النحوية السابق:11.

([9]) طبقات النحويين واللغويين: محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، (تـ 379هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف: 170 71.

([10])المدارس النحوية السابق: 11.

([11]) نفسه: 12.

والمدرسة الرمزية[12].

وكان من أوائل من استخدم هذا المصطلح "جوتولد فايل" الذي سماهما المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية وتبعه في ذلك "بروكلمان" الذي قال: " وقد قسم علماء العربية مذاهب النحو إلى ثلاث مدارس: البصريين والكوفيين ومن مزجوا المذهبين من علماء بغداد "[13].

وأول من استعمل تسمية مدرسة من علماء العرب المحدثين مهدي المخزومي فعنون أحد كتبه بعنوان "مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو" وألف الدكتور شوقي ضيف كتابا سماه "المدارس النحوية" وألف الدكتور عبدالرحمن السيد كتابا سماه "مدرسة البصرة النحوية [14].

أسباب ظهور المدارس النحوية

قديما لم يكن يعرف النحو بهذا الاسم بل كان يعرف العربية والإعراب والكلام، وهذه التسمية ظهرت في عصر الطبقة الثانية من علماء البصرة حيث اشتهرت عنها مؤلفات اتسمت بأنها نحوية.

مكان ودوافع نشأة النحو :

تأكّد بإجماع المصادر على أن العراق على العموم كان موطن نشأة النحو العربي وذلك للأسباب الآتية:

1) كان العراق ملجأ للعجم قبل الفتح الإسلامي، وبعد الفتح أقبل المسلمون عليها عربا وعجما لأنها كانت تتوافر على أسباب الحياة الناعمة ورغد العيش.

2) كان العراق أكثر البلاد العربية تفشيا للحن نتيجة هذا المزج (بين العرب والعجم).

3) كان للعراقيين خبرة متوارثة في العلوم والتأليف، وتعد البصرة أسبق مدن العراق انشغالا بالنحو حيث احتضنت النحو زهاء قرن من الزمان قبل أن تشتغل به الكوفة التي كانت بدورها أسبق من بغداد، فالبصرة هي التي أسست وأصلت لعلم النحو، في حين كانت الكوفة مشغولة بقراءات القرآن ورواية الشعر والأخبار، وولم يغفل عن العلماء القدماء شيء من ذلك فيرى ابن سلام الجمحي أنّ لأهل البصرة في العربية قدمه، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية. ويرى ابن النديم أنّ البصريين أولا لأن علم العربية عنهم أخذ، ثم اشترك علماء البصرة والكوفة في النهوض بالنحو من عهد الخليل بن أحمد شيخ الطبقة

([12]) مراحل تطور الدرس النحوي: د. عبدالله الخثران، دار المعرفة، 14993م: 148.

([13]) تاريخ الأدب العربي: 2 / 124.

([14]) المدارس النحوية السابق: 13.

الثانية من البصريين، وأبي جعفر الرؤاسي شيخ الطبقة الأولى من الكوفيين حتى نضجت أصوله وكملت عناصره في مستهل العصر العباسي الأول.

عوامل سبق مدرسة البصرة

العامل الجغرافي

كان لموقع البصرة الجغرافي الأثر البارز في سبقها للاهتمام بالنحو، فالبصرة تقع على طرف البادية مما يلي العراق، فكانت أقرب مدن العراق إلى العرب الأقحاح الذين حافظوا على لغتهم من اللحن، فمكن هذا أهل البصرة أن يأخذوا عن العرب دون أن يتكلفوا مشاق السفر على خلاف الكوفة وبغداد.

العامل السياسي:

كانت البصرة عثمانية أموية، وكانت الكوفة علوية عباسية لقد سكن الإمام علي رضي الله عنه الكوفة واتخذها مقرا لخلافته، إذ كان أهل الكوفة مطيعين له فدعوه إليهم في الوقت الذي شق فيه أهل البصرة عليه عصا الطاعة، ثم جاءت السيدة عائشة رضي الله عنها البصرة ومعها جيش طلحة والزبير مطالبين بثأر عثمان وقد كانت موقعة الجمل بين عائشة وعلي فكان ما كان ومن ثم تمسكت كل من البلدتين بما تدين له فاستمرت البصرة هاشمية عثمانية والكوفة قرشية علوية، ولما كانت مسألة التحكيم وكان الفائز فيها الأمويون كان طبيعيا أن يكون الاستقرار والهدوء للبصريين وأنصارهم في الوقت الذي كان فيه الكوفيون يضمرون الكراهية للبصريين. وسرعان ما تغيرت الأوضاع وسقطت الدولة الأموية وحلت الدولة العباسية، وكان مبدأ ظهورها في الكوفة إذ تمت البيعة لأبي العباس السفاح أول خلفائها بدعوته لآل البيت فناصره الكوفيون، فحفظ العباسيون هذا الموقف، وصارت للكوفيين معزة عند العباسيين، بعد أن ذلهم الأمويون، وتراجعت شهرة البصرة في الفترة العباسية، إلا أنها كانت السباقة في الاهتمام بالنحو في الفترة الأموية.

العامل الثقافي

قرب سوق المربد من البصرة:

كان للعامل الثقافي أيضا أثر البارز في سبق البصرة للاهتمام بالنحو، إذ كانت تُقام فيها مجالس للعلم والمناظرة، ويفد إليها الشعراء ورواتهم، على نحو سوق عكاظ في الجاهلية، يقصدها العلماء والأدباء والأشراف للمذاكرة والرواية والوقوف على الأخبار وكان اللغويون يأخذون عن أهلها ويدونون ما يسمعون، ويأخذ عنهم النحويون ما يصحح قواعدهم. ولم تكن الكوفة في هذا المستوى إذ أن ساكنها من الأعراب أقل عددا وفصاحة ممن كان في البصرة، وإن كان منهم بنو أسد وغيرهم إلا أن معظمهم يمانيون، وأهل اليمن عرف عنهم فساد لسانهم لمجاورتهم الحبشة، واحتكاكهم بالهند ومخالطتهم التجار الذي

يفدون إليهم من مختلف الأمصار.

إضافة إلى دوافع أخرى كان بعضها قومي عربي، يرجع إلى أن العرب يعتزون بلغتهم اعتزازا شديدا جعلهم يخشون عليها من الفساد حين امتزجوا بالأعاجم، هذا ما جعلهم يحرصون على المحافظة عليها خوفا من الفناء والانصهار والذوبان في اللغات الأعجمية، إلى جانب ذلك كانت هناك بواعث اجتماعية ترجع إلى أن الشعوب المستعربة أحست الحاجة الشديدة إلى العربية بإعرابها وتصريفها حتى تمثلها تمثلا مستقيما، وتتقن النطق بأساليبها نطقا سليما.

الحاجة إلى النحو

أكّدت الحقائق المتعلقة بتاريخ اللغة، أنّ الناس من أتباع سيّد الخلق وجدوا صعوبة لغوية في قراءة القرآن وفهمه، وبخاصة أهل المدن والأمصار، لأنّ من خصوصيات اللّغة التي نزل بها القرآن الكريم، فهي من حيث اللّهجة الصّوتية لغة قريش ومكّة، ومن حيث البناء والإعراب لغة الشّعر السّائدة في بوادي نجد والحجاز[15]. أي أنّ القرآن جاء معرباً ومعجزاً، ومثل ذلك حديث رسول الله (صلى)، ثمّ إنَّ شعر العرب الجاهليين ونثرهم كان آية في نظمه وإعرابه.

وحلاّ لهذه المشكلة اللغوية دعا الرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إعرابه في قوله: "أعربوا القرآن"[16]، لأنّ فهم كتاب الله لا يتأتّى إلاّ بتعلّم العربية على الوجه الأكمل ليفتح للمتعلّم مغاليقه، ويطلعه بعمق على ما فيه. ولعلّ ما يجلي هذا المغزى أكثر دعوة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى التّحكم في القراءة السليمة توخيا للمعنى القرآني الصحيح في تلك الرواية التي وردت على عهده أنّ أعرابيا قدم لتعلم القرآن، فقال: من يقرئني شيئا مما أنزل الله تعالى على محمد - صلى الله عليه وسلم- فقرأ رجل سورة التّوبة: (إنّ الله بريء من المشركين ورسوله)[17] بكسر لام كلمة "رسوله" فقال الأعرابي: أو قد بريء الله من رسوله؟ إن يكن الله تعالى بريء من رسوله فأنا أبرأ منه، فبلغ الأمر عمر بن الخطاب فدعاه فقال: أتبرأ من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنّي قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن، فسألت من يقرئني، فأقرأني هذا سورة التّوبة فقال: إنّ الله بريء من المشركين ورسولِه، فقلت: أوقد بريء الله من رسوله؟ أن يكن الله تعالى بريئا من رسوله فأنا أبرأ منه، فقال عمر - رضي الله عنه - ليس هكذا يا أعرابي، فقال: كيف هي يا

(15) المفصل في تاريخ النحو العربي، الجزء الأول قبل سيبويه: محمد خير الحلواني، مؤسسة الرسالة، دط، دت: 11.

(16) الصاحبي: ابن فارس(ت 395 ه)، تحقيق: عمر الطباع، طبع(1)، مكتبة المعارف، بيروت، 1993م: 65 وما بعدها.

(17) التوبة: 3.

أمير المؤمنين؟ قال: (إن الله بريء من المشركين ورسولُه)، فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ ممن بريء الله ورسولُه منهم[18]. فأمر عمر بن الخطاب ألا يقرئ القرآن إلا عالم باللّغة.

والأمر لا يقتصر على هذا فحسب، بل كثير من الخلافات التي وقعت بين الفقهاء مردّها في معظمها إلى اختلافهم في فهم أساليب العربية، فيعودون إلى كلام أهلها وأقوال النّحاة ليحتكموا إليها ويحكّموها، كلّ ذلك لأنّ كتاب الله يمثّل الذروة العليا في الأساليب العربية.

ووجد الأعاجم الداخلون في الإسلام أنفسهم يستعملون لغة غير لغتهم فاضطرهم ذلك لتعلّم اللّغة العربية لدينهم ولدنياهم، فكانوا أحوجين إلى نوع من العلم يسهل لهم طريق التعلم، فسمحت هذه الحاجة إلى وضع علم النّحو، "وكان طبيعياً أن ينشأ ذلك في العراق لا في الحجاز ولا في الشام، لأنّ الحجاز لم يكن في حاجة إلى قواعد يقيم بها لسانه، وأن موالى العراق أكثر رغبة من موالي الشام، ورغبة الفرس في العربية كانت أكثر من رغبة سواهم"[19]. وممارسة النّحاة لهذا الضّبط هدتهم إلى كشف علل الإعراب، فكان هذا العلم، الذي هو أول أمره ضبط لمعاني الألفاظ برسم حركاتها، أو هو الجانب العملي من ممارسة الضّبط والتعليل توخياً لهندسة معمار الإعراب الذي يتم به التفريق "بين المعاني فلو" أنّ القائل إذا قال: ما أحسن زيد، لم يفرق بين التعجب، والاستفهام، والذم إلا بالإعراب..." [20].

فمسار العربية كشف عن الجهود التي بذلت كي تسود لغة القرآن في وضوحها والتزامها الإعراب، ولتكون لغة عامة لا وجود فيها للغات الخاصّة الطائفية.

كما أسفر الدّرس اللّغوي عند العرب عن استقراء الضّوابط التي تحكم العربية على أنّها نظام كامل، لأنّ مجمل التّعاريف للّغة لم تخرج عن كونها بناء جاء على نحو معيّن، أي أنّها نظام، إضافة إلى كونها غريزة وفطرة، هذا ما يراه أبو حيان(تـ حوالي400هـ) في الإمتاع والمؤانسة مختصرا المناظرة التي جرت بين أبي سعيد السيرافي، وأبي بشر متّي: " قال متّي: يكفيني من لغتكم هذه، الاسم والفعل والحرف. قال أبو سعيد: أخطأت لأنّك في هذا الاسم والفعل والحرف فقير إلى وصفها وبنائها على التّرتيب الواقع في غرائز أهلها"[21].

---

(18) نزهة الألباء في طبقات الأدباء: لابن الأنباري (أبو البركات عبد الرحمان بن محمد، تـ577هـ)، ط(1)، تحقيق إبراهيم السامرائي، بيروت، 1402هـ/1982م: 16.

(19) فجر الإسلام: أحمد أمين، دار الكتاب العرب، بيروت، ط(10)، 1969م: 183 بتصرف.

(20) الصاحبي: ابن فارس (تـ395هـ)، تح: عمر الطباع، المصدر السابق: 65 وما بعدها.

(21) الإمتاع والمؤانسة: أبو حيان (علي بن محمد بن العباس تـ حوالي 400هـ)، الليلة الثامنة، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت: 116/1.

السليقة ودواعي نشأة علم النحو

نشأ النّحو العربي فنّاً تمرَّنَت في إثره ألسنة النّاطقين بالعربية على طرائق للأداء تمكّنت من طبائعهم، أي أنّ اللّغة العربية بنواميسها كانت فطرة وغريزة في العرب الأوائل لفترة طويلة، وظلّوا يجهلون في مرحلة الاستقراء ما تواضع عليه النّحاة من مصطلحات لجهودهم اللّغوية، لأنّهم كانوا يحتكمون إلى سليقة ذات منهج دقيق، أساسه الذّوق الرفيع، والنّطق السليم، والوزن العربي الخالص، فاللّفظ يعرب بادئ ذي بدء بالبداهة من غير قوانين[22]، والروايات حول ذلك كثير. قال الجاحظ(تـ255هـ): "روى أصحابنا أن رجلاً من البلديين قال لأعرابي: "كيف أهلك" قالها بكسر اللام. قال الأعرابي: صلباً، لأنه أجابه على فهمه، ولم يعلم أنه أراد المسألة عن أهله وعياله"[23]. وهذا ياقوت الحموي(تـ626هـ) ينقل في إرشاد الأريب رواية عن ابن جني(تـ392ه) أنّه سأل أحد الأعراب ممن يثق في عربيته، عن تصغير حُبارى، فيجيبه: حُبرور، ذلك أنّ الحبرور في اللّغة هو فرخ الحُبارى، أمّا التّصغير الصّرفي حُبَير أو حُبَيرى، فهو ممّا لا يخطر ببال الأعرابي، وحين سأله كيف تجمع مُحرنجما؟ أجاب: فرّقه حتّى أجمعه. إذ المعنى الدّلالي للمحرنجم هو المجتمع، ولا يتسنّى جمعه إلاّ بعد أن يفرّق، قال ابن جني: كان غرضي من ذلك أن أعلم ما يقوله، أيكسّر فيقول: حَرَاجم، أم يصحّح فيقول: مُحرنجمات " فذهب هو مذهبا غير ذين[24].

ومن الروايات التي تصبّ في هذا السياق، سُمع أعرابي ينشد :

نحنُ بني علقمةَ الأخيارا

فقيل له لِمَ نصبت (بني)؟ فقال: وما نصبته...[25] لأنه لا يعرف النَّصْب إلا إسناد الشيء. ويتّضح ذلك أكثر في قول الأصمعي (تـ216هـ) لأعرابي: أَتهمز اسرائيل؟ قال: إني إذن لرجلُ سوءٍ، قلت: أَفَتجر فلسطين؟ قال: إني إذاً لرجل قويّ. فهذا الأعرابي لم يفهم من الهمز إلاّ العيبَ والشتمَ، لذا أبى أن يكون عَيَّاباً؛ لأن ذلك من صفات سوء الخلق، ولم يفهم من الجرّ إلاّ السحبَ... أما الهمزُ بمعنى النطق بالهمز، والجرّ بمعنى الإتيان بالحركة

(22) المعرب و الدخيل في اللغة العربية و آدابها، السابق: 15.

(23) البيان والتبيين: الجاحظ (أبو عثمان بن بحر محبوب الكناني، تـ225هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، 1368هـ، 1949م: 163/1.

(24) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ياقوت الحموي (تـ626هـ)، تح إحسان عباس، دار الغرب الإسلامية، بيروت،(ط1)،1993م: 38/5.

(25) الصاحبي في فقه اللّغة و مسائلها و سنن العرب في كلامها: ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن زكريا بن فارس تـ395هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، دط، دت: 35.

المخصصة، فهو أبعد ما يكون عن ذهنه وتفكيره[26]، أي انه لم يعرف المصطلح النّحوي بمعناه واستعماله الاصطلاحي.

وتشكّلت لدى الأعراب في تلك الفترة فكرة عن النّحوي على أنّه من متصنّعي الكلام، فتجلّت تلك الفكرة في نعت أحد الفصحاء النّحويين بأنّهم يتشدّقون في كلامهم، ويتكلّفون دون بيان:

ولستُ بنحويّ، يلوك لسانه ** ولكن سليقيّ يقول فيُعرب[27]

ولذا لم يسرِ يوما في اعتقاد العرب أنّ الإعراب وشاح توشح به اللّغة العربية، ولكنّهم اتّخذوه وسيلة تعبيرية يحمل أثقل عبء في أداء المعاني الدّقيقة، على خلاف اللّغات الأخرى غير المعربة التي تجعل بناء الجملة ونظامها قائما مقام الإعراب، فتقدم الفاعل، وتستعمل الفعل المساعد، ثمّ تأتي بالفضلات، أمّا العربية فنظام الجملة فيها طيّع لا يلتزم حدود صارمة، لأنّ الإعراب هو الذي يدلّ السامع على الفاعل، والمفعول...

ونخلص من هذا إلى أنّ العربي استعمل المصطلحات النّحوية على الرغم من جهله بخصوصياتها، وهذا الأمر يجعلنا نقول بعدم إمكانية تحديد تأريخ لنشأة كلّ مصطلح من المصطلحات النّحوية تحديداً دقيقاً؛ لأن هذا التاريخ يحيط به الاضطراب وعدم ثبات المصطلح، لكن المؤكّد أن هذه المصطلحات قد سايرت نشأة النّحو[28]، وبدأت كما بدأت العلّة والقياس، وفكرة النّحو وطريقة تناولها كانت ساذجةً طبيعيةً في أوّل الأمر، وما جهد أبي الأسود الدؤلي (تـ 69هـ) إلا أولى محاولاتها في أوراق النّحو التي وضعها[29]، لكنها ما لبثتْ بمضي الزّمن وطول العهد ومتابعة الدّرس أن ترقى و تتطوّر[30].

وكان لزاما على الأوائل من العرب توفير أسباب التطوّر لحماية لغتهم من العوامل المؤثّرة فيها، سواء أكانت داخلية ناجمة عن مؤثّرات طبيعية مرتبطة بتطوّر اللّغة ذاتها، أم خارجية أفرزها امتزاج ثقافة العرب وحضارتهم بثقافة وحضارة من حتّمت الظّروف الاجتماعية والتّاريخية[31] الاحتكاك و الاتصال بهم. فلم يكن بدّ أن يكون لهذا الاتّصال أثره

(26) مدرسة البصرة النحوية: عبد الرحمن السيد، ط(1)، دار المعارف، القاهرة، 1968م: 324 – 325.

(27) التصريح على التوضيح: خالد الأزهري (تـ905هـ)، 1326هـ، القاهرة: 331/2.

(28) مكانة الخليل بن أحمد الفراهيدي في النحو العربي: جعفر عبابنة، دار الفكر، عمارة، ط(1)، 1984م: 157.

(29) الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الوحدة، الكويت: 1977م: 8 – 9.

(30) مدرسة البصرة النحوية: عبد الرحمن السيد، ط(1)، دار المعارف، القاهرة، 1968م. التصريح على التوضيح: خالد الأزهري (تـ905هـ)، 1326هـ، القاهرة: 324 – 325.

(31) أقصد بالظروف الاجتماعية المعاملات المصلحية التجارية، وبالتاريخية الفتوحات الإسلامية.

المحتوم، إلى جانب مظاهر الحياة المختلفة في لغة الفئتين، لذلك شاع في اللّغة ما أطلق عليه اللّغويون والنّحويون اللّحن، الذي يعرف على أنّه الخطأ اللّغوي في التّراكيب والكلمات ذات الأصول العربية. وقد عبّر الزبيدي (تـ 989هـ) عن ظروف هذه الظاهرة بقوله: "لم تزل العرب على سجيتها في صدر إسلامها، وماضي جاهليتها، حتّى أظهر الله الإسلام على سائر النّاس، فدخلوا فيه أفواجا، وأقبلوا عليه أرسالا، واجتمعت فيهم الألسنة المتفرّقة واللّغات المختلفة، ففشا الفساد في اللّغة العربية، واستبان منها في الإعراب الّذي هو حليها والموضّح لمعانيها، فتفطّن لذلك من نافر بطباعه سوء إفهام النّاطقين من دخلاء الأمم بغير المتعارف من كلام العرب، فعظم الإشفاق من فشو ذلك وغلبته في تقييدها لمن ضاعت، وتثقيفها لمن زاغت عنه"[32].

وظهر اللّحن أوّل ما ظهر في القضايا ذات الصّلة بالإعراب، فهذه ابنة أبي الأسود الدؤلي(تـ 69هـ) تنغمس فيه فتقول لأبيها: ما أشدُّ الحرِّ"، قال لها: "الحصباءُ بالرمضاءِ. قالت: إنّما تعجبتُ من شدّته. قال: أوقد لحن الناس؟"[33].

ولم يخف الرسول - صلى الله عليه و سلم- وبعض الخلفاء والعلماء والأعراب على حدّ السواء قلقهم من فشوه – ولا سيّما في قراءة القرآن الكريم – إذ سمع الرسول صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ فيلحن، فقال: " أرشدوا أخاكم فإنّه قد ضلّ".[34] وهذا ما كان خشاه أبو بكر على نفسه في قوله: "لأن أقرأ و أسقط أحبّ إليّ من أن أقرأ و ألحن" [35]. وارتاب منه عبد الملك بن مروان، حين قيل له: أسرع إليك الشيب، فقال: "شيّبني ارتقاء المنابر مخافة اللحن". وفي رواية أخرى:" شيّبني ارتقاء المنابر وتوقُّع اللّحن"[36]. وخشى على نفسه أن يستفحل في لسان ابنه الوليد بعد أن لحن فقال: "أضر بالوليد حبنا له، فلم نوجهه للبادية"[37]. والتزم الحجاج بعدم الوقوع فيه بعد أن قوّم يحيى بن يعمر (تـ129هـ) لسانه

(32) لحن العوام: أبو بكر الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله تـ989هـ)، تحقيق رمضان عبد التواب، المطبعة الكمالية، القاهرة، 1964م: 4.

(33) الشعر والشعراء: أبو العباس المبرد(أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر تـ286هـ)، دار المعارف: 729.

(34) الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (تـ 392هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4: 8/2.

(35) المستتر في القرآت العشر: أبو الطاهر أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن سوار البغدادي(تـ496هـ)، تحقيق ودراسة عمار أمين الردو، دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث، ط(1)، 1426هـ/2005م: 188/1. وينظر المزهر في علوم اللغة العربية و أنواعها: السيوطي(عبد الرحمان جلال الدين تـ911هـ)، تحقيق ج: جاد المولى وزميله، القاهرة، د ت: 397/2.

(36) تيسير وتكميل شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: محمد علي سلطاني، إعداد فئة من المدرسين، دار العلماء، دمشق(سورية): 14/1.

(37) البيان والتبيين: الجاحظ، السابق: 205/2.

في استشارة له: أتسمعني ألحن على المنبر؟ قال: تقول: الأمير أفصح من ذلك، فألح عليه، فقال: حرفاً، قال: أيّاً؟ قال: في القرآن، قال الحجاج ذلك أشنع له، فما هو؟ قال: في قوله جلّ وعزّ: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ).[38] فتقرأها (أَحَبُّ) بالرفع، والوجه أن تقرأ بالنصب (أَحَبَّ) على أنه خبر كان، قال: لا جرم لا تسمع لي لحناً أبداً فألحقه بخراسان[39]. كما دفع - اللّحن - عبد العزيز بن مروان على تعلّم اللّغة في رواية أطلعنا عليها ابن كثير(تـ 774هـ) في مؤلفه البداية والنهاية في أثناء ترجمته له: كان يلحن في الحديث وفي كلامه، ثمّ تعلّم العربية فأتقنها وأحسنها، فكان من أفصح الناس، سبب ذلك أنّه دخل عليه رجل يشكو ختنه، فقال له عبد العزيز: من خَتَنَكَ؟ فقال الرجل: ختنني الخاتن الذي يختن الناس، فقال لكاتبه ويحك بماذا أجابني؟ فقال الكاتب: "يا أمير المؤمنين كان ينبغي أن تقول من خَتَنُكَ؟ فوقع في نفسه ألاّ يخرج من منزله حتّى يتعلّم العربية"[40].

وأظهر الكشف المبكّر لهذا الدّاء اللّساني مواقف حازمة لتقويضه واحتوائه قبل استفحاله، ولعلّ أوّل موقف كان ذاك الذي أبداه الرسول – صلى الله عليه وسلم – حين أحسّ بمسؤولية الوقاية منه، داعيا في ذلك الله أن يشمل برحمته من يصلح نفسه منه في قوله: "رحم الله امرءا أصلح من لسانه"[41]. كما أبدى بعضهم الشدّة في معالجة الظاهرة، منهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ذكر عنه أنّه ردّ كتاب أبي موسى الأشعري عامل الكوفة في عهده للحن ورد فيه موقّعا أسفله: أقسم عليك ألا ما قنعت كاتبك سوطا، فلما جاء الكتاب إلى الكاتب وسأل عن خطئه فيه، قيل له في عنوانه[42]، فأصلح عنوانه وأرسله إلى الخليفة فقبله منه. كما ورد في الأخبار أنّ عمر بن الخطاب قد أدّب أولاده بسبب اللّحن[43].

ولم يخف الخليفة هارون الرشيد عدم رضاه عن لحن وقع من الفراء (تـ207هـ) في حضرته، وخاصة أنّه كان من علماء اللّغة، فقال له ملتمسا منه العذر لما بدر منه لأنّه لم

---

(38) التوبة: 24.

(39) طبقات النحويين واللغويين: الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله تـ989هـ)، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1373هـ/1954م: 28.

(40) البداية والنهاية: ابن كثير(إسماعيل بن عمر الدمشقي(تـ774هـ)، القاهرة، 1348هـ، 61/9.

(41) الخصائص، المصدر السابق: 245/3.

(42) وهو" من أبو موسى إلى الخليفة الثاني عمر... " وقيل أنّه أول خطأ في الكتابة، ينظر لحن العوام المصدر السابق: 4.

(43) معجم الأدباء- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ياقوت الحموي (تـ626هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار العرب الإسلامي: بيروت،1414هـ، 1993م: 20/1. وينظر الخصائص لابن جني، المصدر السابق: 8/2.

يكن من البداة المطبوعين على الفصاحة: "إنّ طباع أهل البدو الإعراب، وطباع أهل الحضر اللّحن، فإذا تحفظت لم ألحن، وإذا رجعت إلى الطّبع لحنت"[44]. فلا المكانة التي حظي بها الفراء عند الخليفة شفعت له، ولا المقام سمح بغضّ الطّرف عن اللّحن، لأنّ قناعة الاستعمال السليم للغة مبدأ تشبّع به العرب، وقد أشارت إلى ذلك بعض القصص التي أوردها الجاحظ (تـ225هـ) في مؤلفه البيان والتّبيين، أنّ العرب إذا أرادت أن تستمع إلى نادرة أوصت بالحفاظ على إعرابها ومخارج ألفاظها، لأنّ تغييرها يؤدي بها للخروج عن غايتها" ويردف - الجاحظ- قائلا موضحا بأنّه: "إذا التقطت أيّ نادرة من كلام العرب، فاحذر أن تسردها إلا مع إعرابها، بمعنى محاولة ضبط مخارج ألفظها، فإن غيّرت نطقها مثلما هو عند المولّدين والبلديين لم يعد لهذه الحكاية معنى"[45].

كما نقل نفس الكاتب رواية في المؤلَّف ذاته من باب التندر في اللّحن الذي كان محلّ الفكاهة بين الأعراب والنّحاة، أنّ نحويا تقدّم بين يدي السلطان يشكو رجلا في دين له عليه، قال: "أصلح الله الأمير لي عليه درهمان، فقال خصمه: لا والله أيّها الأمير إنّ هي ثلاثة دراهم، لكنّه لظهور الإعراب ترك من حقه درهما"[46]. وظهور الإعراب الذي أشار إليه الخصم كان في لفظة ثلاثة، فالعدد يذكّر مع المعدود المؤنث، ويؤنث مع العدد المذكر في قواعد اللغة العربية، هذا ما أثار مخاوف المتكلم أن يقع في اللحن، فاستبدل لفظة ثلاثة بلفظة درهمان متنازلا في ذلك عن درهم من حقّه. ما كان لهذا الشاكي أن يضيّع حقه لو أصلح لسانه.

وإصلاح اللغّة لا يتأتّى إلاّ بالعربية (الإعراب، والكلام، واللّحن، والنحو). وباكورته يمكن تلخيصها في رواية عن الزجاج (تـ316هـ) أن أبا الأسود الدؤلي(تـ69هـ) قال: "دخلت على علي بن أبي طالب فرأيته مطرقاً متفكراً فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إنّي سمعت ببلدكم هذا لحناً فأردت أن أصنع كتاباً في أصول العربية، فقلت: إن جعلت هذا أحييتنا، وبقيت فينا هذه اللّغة"[47]. وهذا المسعى من دون شكّ يقتضي مصطلحات تعين على تعيين هذا العلم وما تضمّنه من قواعد.

(44) طبقات النحويين واللغويين، المصدر السابق: 41.

(45) البيان والتبيين: الجاحظ (أبو عثمان بن بحر محبوب الكناني، تـ225هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، 1368هـ، 1949م: 91/1.

(46) نفسه: 322.

(47) الأشباه والنظائر: السيوطي، تح: عبد العال مكرّم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(1)، 1985م: 13/1.

المصطلح

ظهر مفهوم "مصطلح" في اللّغة العربية نتيجة لتطوّر الحياة الفكرية والسياسية والاقتصادية، التي وجهت بعض ألفاظ العربية وجهات معيّنة، وهذا الإجراء دليل حياة العربية، ونوع من الديناميكية التي تحاول الألفاظ مواكبة مسار الحياة بتياراتها المختلفة، وهي ظاهرة تشهد لها الحضارة العربية في جوانبها جميعاً.

والمصطلح في مفهومه القاموسي، هو من أصل المادة: (صلح)، والصلحُ: تصالح القوم بينهم، والصلح: السلم، قد اصطلحوا وصالحوا واصلحوا وتصالحوا... بمعنى واحد)[48].

وقال أحمد بن فارس اللغويّ: "الصاد واللام والحاء أصل يدّل على خلاف الفساد"[49].

وقال الأزهري (تـ509هـ): " تصالح القوم واصطلحوا بمعنى واحد"[50]. وكلاهما يعني أن الجذر الثلاثي للفظة (مصطلح) كان يعني في الجاهلية الصلح أو الصلاح المناقض للفساد، ولم يكن يدلّ على شيء من المعنى الذي اكتسبه في العصور التّالية، وأن الفعل (اصطلحوا) لم يكن يعني أكثر من ائتلاف القوم بعد الاختلاف.

ثم صقل التّطور هذا اللّفظ، وأضاف إلى معناه الأول معنى جديداً يوضحه الزبيدي (تـ379هـ) في قوله: "الاصطلاح اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص".[51] ويحدّد غيره المصطلح العلمي، فيقول: "المصطلح العلمي هو لفظ اتفق العلماء على اتّخاذه للتّعبير عن معنى من المعاني"[52]. "والاصطلاح يجعل للألفاظ مدلولات جديدة غير مدلولاتها اللّغوية الأصلية"[53].

وبشكل أوضح المصطلح لفظاً يطلق للدلالة على مفهوم معيّن عن طريق الاصطلاح (الاتّفاق) بين الجماعة اللّغوية على تلك الدلالة المرادة، التـي تقرن بين اللّفظ (الدّال) والمفهوم (المدلول) لمناسبة بينهما[54]، "لكن لا يشترط وجود هذه العلاقة بين الاسم

---

(48) لسان العرب، ابن منظور الإفريقي (ت711هـ)، دار لسان العرب، بيروت: مادة (صلح)

(49) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، د.ت: مادة (صلح).

(50) تهذيب اللغة: أبو منصور الأزهري، تح عبد السلام محمد هارون ومحمد علي النجار، دار القومية العربية، 1964م: 4/ 243، مادة (صلح).

(51) تاج العروس: المرتضى الزبيدي، طبعة الكويت،1969م: مادة (صلح).

(52) المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث: الأمير مصطفى الشهابي، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1988م:6.

(53) نفسه: 6.

(54) المعجم الوسيط: إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط(3)، 1998م: (اصطلاح)

والمسمّى"[55]، فلو أطلقنا اسم "مُنبّه" على جهاز معيّن، وأردناه مصطلحاً، وجب أن يكون هذا الجهاز من خصائصه التّنبيه، وهذه هي العلاقة المنطقية الواجبة بين المصطلح ومفهومه، أما الاسم: فقد نطلق الاسم "زيد" على شخص أو مسمّىً، لا يكون بالضرورة زيد. وهي بذلك ألفاظ مقررة تشبه الحدود وإشارات الطريق[56]، لها معانٍ يفهمها الناس، ومعانٍ أُخر لا يفهمها إلاّ أهل ذلك العلم الذي تنسب إليه[57]، فإن حصل هذا الاتّفاق بين جماعة المُحدثين تفتّق عنه مصطلح في الحديث، وإن قام بين جماعة الفقهاء نتج عنه مصطلح في الفقه، وإن كان بين جماعة النحاة كان المصطلح النحويّ[58]. كما يدلّ المصطلح الواحد على معانٍ تختلف باختلاف العلوم، فمصطلح (الخبر)[59] على سبيل المثال لا الحصر، له معنى عند النّحويين، وآخر عند المحدثين وثالث عند البلاغيين، كما أن الاختلاف في دلالة المصطلح يكون بين النحاة أنفسهم بسبب مناهجهم العلمية ومدارسهم المختلفة[60]. ولذا "وجب أن يتجاوز المصطلح الدلالة اللفظية والمعجمية إلى تأطير تصوّرات فكرية وتسميتها في إطار معيّن تقوى على تشخيص وضبط المفاهيم التي تنتجها ممارسة ما في لحظات معيّنة، والمصطلح بهذا المعنى هو الذي يستطيع الامساك بالعناصر المُحدّة للمفهوم، والتمكّن من انتظامها في قالب لفظي"[61].

أقول: لمّا كان الأمر كذلك، فإنّ لبّ المشكلة كما تبدو لي، هو الاتّفاق بين الجماعة، والأسس والمبادئ التـي يقوم عليها هذا الاتّفاق، وسبل تحقيقه.

وقد ارتضى المتخصّصون في علم المصطلح تعريفاً له في منتهى الدقّة، فعرّفوه بأنّه الرّمز اللّغوي المحدّد لمفهوم واحد تخصّص بعد شيوعه. بما يسمى بالدّلالة الصّناعية.

---

(55) المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية: معجم عربي-أعجمي/أعجمي-عربي: محمد رشاد الحمزاوي، المؤسسـة الوطنية للكتاب، الجزائـر،1987م: 106.

(56) الأسلوب: أحمد الشايب، ط71، مطبعة السعادة، القاهرة، 1976م: 97 – 98.

(57) النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع عشر للهجرة، دار الحرية، بغداد، ط(1)، 1978م: 284.

(58) المصطلح النحوي، نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري: عوض محمد القوزي، الرياض، 1981م: 22.

(59) الخبر عند النحويين كل ما أسندته إلى المبتدأ وحدثت به عنه، وعند المحدثين الراوية، وعند البلاغيين كلام يحتمل الصدق والكذب، ينظر: اللّمع في العربية: ابن جني (ت392هـ) تحقيق: حامد المؤمن، ط(1)، مطبعة العاني، بغداد، 1982م: 80.

(60) المصطلح النحوي، نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري: عوض محمد القوزي، الرياض، 1981م: 24.

(61) المصطلح اللغوي في كتاب سيبويه: رسالة دكتوراه، للطالب: رقيق كمال، جامعة تلمسان 2013/2012.

والمصطلحات التي عبّرت عن علم النّحو، حصرها بعض الدارسين في ثلاثة مصطلحات، هي: العربية والكلام والإعراب[62]. ويضيف بعضهم مصطلح اللّحن[63].

واستخدم ابن خلدون – في حديثه عن علم (النّحو)- ثلاثة مصطلحات: علم النّحو، وصناعة العربية، وعلم العربية[64]. وهو ما استخدمه النّحويون المتقدّمون كما سبق و أن ذكرت، ولكن ما شاع عند ابن خلدون(255هـ) استبدال (علم) بكلمة (صناعة)، ولا تكاد تفارق مدونته مستخدما كلمة (صناعة) مفردة، وجمعًا (صنائع).

أما من حيث أسبقية تلك المصطلحات في الوجود، فذهب بعض الباحثين إلى تقدّم اصطلاح (العربية)[65]، مستدلّين بقول عمر بن الخطاب: " تعلّموا العربية فإنّها تزيد في المروءة".[66] و في رواية أخرى "تعلّموا العربية، فإنّها تشبّب العقل، وتزيد في المروءة"[67]. كما نقل عنه أيضا قوله: " تعلّموا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه"[68]. ونقل فيما يدعّم هذا الاتّجاه عن كعب الأحبار أنّه حكم بين عبد الله بن عباس، و معاوية حين اختلفا في فهم قوله تعالى: (عينٍ حمئةٍ)، فقال لهما: "أمّا العربية فأنتم أعلم بها، وأمّا أنا فأجد الشّمس في التوراة تغرب في ماء وطين"[69].

وتذكر بعض المصادر أنّ أوّل نصّ ورد فيه هذا المعنى الاصطلاحي ما نقله ابن نوفل عن أبيه، قال: سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء (تـ 154هـ): "أخبرني عمّا وضعت ممّا سمّيته عربية، أيدخل فيه كلام العرب كلّه..."[70]. ويؤكّد قدمه وعراقته – المصطلح-

(62) أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي: فتحي عبد الفتاح الدجني، الكويت، وكالة المطبوعات، 1974م: 13- 14.

(63) المصطلح النحوي: نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، السابق: 16.

(64) المقدمة: ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م: 1168/3.

(65) المفصل في تاريخ النحو العربي، السابق: 12.

(66) المستتر في القرآت العشر: أبو الطاهر أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن سوار البغدادي(تـ496هـ)، تحقيق ودراسة عمار أمين الردو، دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث، ط(1)، 1426هـ/2005م: 188/1.

(67) طبقات النحويين واللغويين: الزبيدي(أبو بكر محمد بن الحسن)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط(2)، 1984م: 13.

(68) إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز و جل: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري(تـ328هـ)، تحقيق محي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق،1390هـ/1971م: 19/1.

(69) غاية النهاية في طبقات القراء: ابن الجزري(تـ833هـ)، ط(3)، دار الكتب العلمية: بيروت،1402هـ، 1982م: 303/2.

(70) طبقات النحويين، السابق: 39

كذلك ما نقله الأصمعي (تـ 216هـ) عن شعبة بن الحجاج (تـ 160ه)، فقال: "حدّثني شعبة قال: كنت أختلف إلى أبي عقرب، فسأله عن الفقه، ويسأله أبو عمر عن العربية، فنقوم، وأنا لا أحفظ حرفا ممّا سأله، ولا يحفظ حرفا ممّا سألته"[71]. وروي عن عمرو بن دينار (تـ125ه) قال: اجتمعت أنا والزهري (تـ 124 ه) ونصر بن عاصم (تـ 89هـ). فتكلّم نصر، فقال الزهري: "إنه ليفلق بالعربية تفليقا"[72]. ومعلوم أنّ نصر بن عاصم من أوائل المهتمين بالدراسات النحوية[73].

كما أخذ برأي استعمال مصطلح العربية على أساس أنّه النّحو بعض المؤرّخين وأصحاب الطّبقات، حيث قال ابن سلام (تـ232هـ): "كان أبو الأسود أوّل من استنّ العربية، وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها"[74]. وقال المبرد (تـ 280ه): "أول من وضع العربية ونقط المصحف أبو الأسود الدؤلي"[75].

وعلى ضوء أرجح الأخبار والروايات لم تعرف كلمة "العربية" بالمفهوم الاصطلاحي طريقها إلى الظّهور إلاّ بعد انتهاء القرن الثاني للهجرة، وقد أطلقت آنذاك على ما جمعه الرواة من البادية عن العرب الفصحاء بعد فشو اللّحن[76].

والواضح في ذلك أنّ مصطلحي "عربية"، و"نحو" هما اللّذان أطلقا على هذا العلم، ثمّ زال الأوّل على الأيام، وبقي الثاني للدّلالة عليه.

مصطلح الكلام:

ومنه سمي نحو الكلام، إذ قال ابن فارس (تـ 395ه): "ومنه اشتقاق النّحو في الكلام، كأنه قصد الصواب"[77].

---

(71) نفسه: 31

(72) أخبار النحويين البصريين: الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، أبو سعيد (تـ 368هـ)، تح: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي - المدرسين بالأزهر الشريف، مصطفى البابي الحلبي، 1373هـ/1966م: 21.

(73) نفسه: 27.

(74) طبقات فحول الشعراء: ابن سلام (محمد بن سلام، تـ232هـ)، تحقيق محمود شاكر، القاهرة: دار المعارف،1952هـ: 15/1.

(75) طبقات اللغويين والنحويين: الزبيدي.أبو بكر محمد بن الحسن، ط(2)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،1973م: 21.

(76) اللهجات العربية نشأة وتطورا: عبد الغفار حامد هلال، دار الفكر العربي، 1418ه، 1989م: 20.

(77) جمهرة اللغة: محمد بن الحسن بن دريد أبو بكر، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين،1987م: 575/1.

ويستدل على تقدّم استعمال مصطلح (الكلام) بما روي عن أبي الأسود الدؤلي(69هـ)، وقد سمع اللّحن في كلام الموالي: "هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام فدخلوا فيه، فصاروا لنا إخوة، فلو علمناهم الكلام"[78].

مصطلح الإعراب

أمّا لفظة "الإعراب" في دلالتها اللّغوية، فهي:

التّغيير: يقال: فعلت كذا فما عرب علي أحد، أي: فما غير علي أحد. التحبب. ومنه العروب: المرأة المتحببة إلى زوجها، وبه فسر قوله تعالى: عربا أترابا".[79] الإجالة: يقال: عربت الدابة، أي: جالت في مرعاها. وأعربها صاحبها: أجالها. وإزالة الفساد. يقال: أعربت الشيء إذا أزلت عربه، أي فساده[80]، " فكان كقولك: أعجمت الكتاب، إذا أزلت عجمته"[81].

وعربت معدة الرجل إذا فسدت، فكان المراد من الإعراب إزالة الفساد، ودخول همزة السلب قلبت المعنى، ومنه أشكيت الرجل أي أزلت شكايته، وأعربت أزلت فساده.[82] ومعنى الإبانة، يقال أعرب الرجل عن حاجته إذا أبان عنها، والإعراب مصدر للفعل "أعرب"، قيل أعرب فلان كان فصيحا في العربية وإن لم يكن من العرب، وأعرب بحجته أفصح بها ولم يتق أحدا، والكلام بيّنة وأتى به وفق قواعد النحو، ويأتي للإبانة، يقال عرّب عنه لسانه: أبان وأفصح[83]. و الإعراب الذي هو النّحو، إنّما هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، وأعرب كلامه إذا لم يلحن في الإعراب[84].

والكلام المعرب يضمن الإبلاغ بما يحتويه من علامات لإقامة الفروق بين عناصر الكلام. والإعراب في اصطلاح النحاة هو الإبانة عن المعنى. قال الزجاج(تـ316هـ): إن

---

(78) أخبار النحويين البصريين، السابق: 13.

(79) الواقعة: 37.

(80) لسان العرب، المصدر السابق مادة (عرب). وتاج العروس: المرتضى الزبيدي، طبعة الكويت، 1969م: مادة (عرب). وهمع الهوامع: تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، دت: 40/1 .

(81) نقلا عن المصطلح النحوي لعوض حمد القوزي: 15.

(82) التفسير الكبير، الرازي، ط3، دار الفكر، بيروت، 1983م: 52/1.

(83) لسان العرب، المصدر السابق: مادة (عرب).

(84) نفسه: 115/9.

النّحويين لما رأوا في أواخر الأسماء والأفعال والحركات تدلّ على المعاني، وتبين عنها سموها إعراباً أي بياناً وكأن البيان بها يكون... ويسمى النّحو إعراباً والإعراب نحواً"[85].

لأنّ هناك علاقة وثيقة بين التّعريف اللّغوي والاصطلاحي للإعراب، وهو الإبانة والتوضيح للمعنى والناحية الإعرابية.

وابتغاءً لهذا المعنى حثّ الرسول صلى الله عليه و سلّم الأخذ به في قراءة القرآن الكريم و شرحه، مستعملا مصطلح الإعراب في قوله: "أعربوا القرآن و التمسوا إعرابه".[86]

وذهب بعض العلماء والدّارسين[87] إلى أن عمر بن الخطاب– رضي الله عنه- هو أوّل من استعمل مصطلح الإعراب في قوله: "وليعلم أبو الأسود أهل البصرة الإعراب"[88].
والمقصود به النّحو على غرار ما ورد في عدد من المصادر العربية القديمة[89]. ويتأكّد ذلك من كلام الزجاج (تـ337ه) الذي استعمال كلمة (الإعراب) بمعنى النّحو اصطلاحا في القرن الثالث للهجرة،: "يسمى النحو إعرابا، والإعراب نحوا سماعا، لأن الغرض طلب علم واحد"[90].

لعلّ المنبت الأصيل لهذا المصطلح حسب ما تشير إليه بعض المصادر، هو عملية (نقط المصحف) التي أنجزها أبو الأسود الدؤلي (تـ 69ه)[91]، وهو الذي سمى هذا النقط المعبر عن حركات أواخر الكلم إعرابا، وأنه قال قبل الشروع فيه: "أرى أن أبتدئ بإعراب القرآن".[92] وقد تكون التسمية بنقط الإعراب حدثت في ما بعد، تمييزا لنقط أبي الأسود عن

(85) وبنية العقل العربي: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط(3)، 1990م: 44.

(86) المستتر في القراءات العشر، السابق: 186/1.

(87) المصطلح النحوي، نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، السابق: 14.

(88) أنباه الرواة على أنباه النحاة: القفطي جمال الدين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم يحيى، يحيى، المكتبة العصرية، ط1، 2004م: 15/1.

(89) الفصول الخمسون: ابن معطي .يحيى، تحقيق : محمود محمد الطناحي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة، دط، د.ت: 149.

(90) الإيضاح في علل النحو: أبو القاسم الزجاجي، (ت 337هـ)، تحقيق الدكتور مازن المبارك، ط5، دار النفائس، 1986م: 91.

(91) صبح الأعشى: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي(تـ377ه)، ط(1)، تحقيق يوسف علي طويل، دار الفكر دمشق،1987م: 151/3.

(92) نفسه: 160/3.

نقط الاعجام الذي قام به بعد ذلك نصر بن عاصم (تـ 89هـ)[93]، و يحيى بن يعمر العدواني (تـ117هـ)[94]، كما ميزوا بينهما خطا بكتابة نقط الإعراب بلون أحمر ونقط الاعجام بلون أسود، وبقي أمر كتابتهما على هذه الحال حتى مجيء الخليل ابن أحمد (تـ175ه) الذي أبدل نقط أبي الأسود بالحروف، لأنه كان يرى أن الفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو.[95]

وقد جاءت هذه الكلمة – الإعراب- بمعنى النّحو في عدد من المصادر العربية القديمة ولعلّ أقدم مصنّف استعملت فيه هذه الكلمة بهذا المعنى- حسب اطلاعي – هو كاتب الفراء (تـ207ه) الذي استهل فيه تفسيره للقرآن الكريم بقوله: " تفسير مشكل إعراب القرآن ومعانيه".[96] و ما يجلي ذلك قوله: "ومما كثر في كلام العرب فحذفوا منه أكثر من ذا، قولهم: أيش عندك؟ فحذفوا إعراب (أي) وإحدى ياءيه" [97]، وواضح أنه يريد بإعراب (أي) حركتها. وتلاه كتاب النحاس (تـ 238ه) الموسوم بـ" إعراب القرآن"، ثم كتاب ابن خالويه (تـ 370ه) "إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم". و كتاب مكي بن أبي طالب القيسي (تـ437ه) "مشكل إعراب القرآن".

وسار على هذا النهج في استعمال ذات المصطلح في وقت متأخّر وفي حدود ضيّقة، علماء القرن الرابع و ما أعقبه، كابن جني (تـ392ه) في كتابه "سر صناعة الإعراب"، وهناك أيضا الحريري صاحب المقامات (تـ 576ه) في موسومه "ملحة الإعراب"، واستعمله ابن معطي (تـ 628ه) في كتابه "الفصول الخمسون"، إذ قال: "إن غرض المبتدئ الراغب في علم الإعراب حصرته في خمسين فصلا "[98].

---

(93) وفيات الأعيان: ابن خلكان(تـ681هـ)، نشره محي الدين عبد الحميد، القاهرة،1367هـ، 1948م: 125/1.

(94) طبقات النحويين واللغويين: الزبيدي(أبو بكر محمد بن الحسن)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط(2)، 1984م: 29.

(95) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، المصدر السابق: 266 - 267.

(96) معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (تـ207ه)، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، د.ط، د.ت: 1/1 .

(97) نفسه: 2/1.

(98) الفصول الخمسون، السابق: 149.

مصطلح اللّحن

مصطلح اللّحن في مقابلة النّحو، يعني كما في المقاييس "إمالة الشيء من جهته... وهذا من الكلام المولد، لأنّ اللّحن محدث لم يكن في العرب العاربة الذين تكلّموا بطباعهم السليمة، ومن هذا الباب قولهم هو طيب اللّحن، وهو يقرأ بالألحان وذلك أنّه إذا قرأ كذلك أزال الشيء عن جهته الصحيحة بالزيادة والنقصان في ترنّمه، ومنه أيضاً "اللّحن" فحوى الكلام ومعناه، قال تعالى: "ولتعرفنّهم في لحن القول"[99]، وهذا هو الكلام المورّى به المزال عن جهة الاستقامة والظهور"[100].

وما توفّر لي من الأدلة على استعمال مصطلح (اللّحن) للتّعبير عن هذا العلم– وهي قليلة و مترددة - منها تلك الرواية المنقولة عن عمر بن الخطاب: " تعلموا الفرائض والسنة واللّحن كما تتعلمون القرآن"[101]. وما قاله أبو بكر الأنباري (تـ328هـ): وحدث يزيد بن هارون بهذا الحديث، فقيل له: "ما اللّحن؟ قال: النحو"[102].

مصطلح النحو

ذكرت للنّحو لغة المعاني التّالية:

القصد: يقال: نحوت نحوك، أي: قصدت قصدك. ونحوت الشيء، إذا أممته. والصرف: يقال: نحوت بصري إليه، أي: صرفت. والمثل: تقول: مررت برجل نحوك، أي: مثلك. والمقدار: تقول: له عندي نحو ألف، أي: مقدار ألف. والجهة أو الناحية: تقول: سرت نحو البيت، أي: جهته. والنّوع أو القسم: تقول: هذا على سبعة أنحاء، أي: أنواع. والبعض: تقول: أكلت نحو السمكة، أي: بعضها. والتحريف، يقال: نحا الشيء ينحاه وينحوه إذا حرّفه[103]. ومنه سمي النّحوي نحويا لأنّه يحرّف الكلام إلى وجوه الإعراب.

ويلاحظ أنّ النّحاة لم يذكروا المعنى الثالث، ولذا عدوا المعاني اللّغوية سبعة نظمها الداودي شعرا بقوله:

للنّحــو سبـع معان قد أتت لغة * * جمعتها ضمن بيـت مفـرد كملا

---

(99) سورة محمد: 30.

(100) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت (د.ت): 239/5.

(101) المصطلح النحوي، السابق: 10.

(102) المصطلح النحوي: نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، القوزي عوض حمد،الرياض: عمادة شؤون المكتبات،1981م: 9.

(103) لسان العرب، المصدر السابق: مادة (نحا)

قصد ومثل ومقدار وناحيـــــــــة * * نوع وبعض وحرف فاحفظ المثلا [104]

وهو في أصل منبته يعني القصد والطريق[105].

والسّبب في تسمية هذا العلم بالنّحو يعود إلى ما أثبته بعض النّصوص التي تتحدّث عن بدايات هذا العلم، منها ما ذكره الزجاجي (تـ337هـ) أنّ أبا الأسود (تـ 69ه) حين وضع كتابا فيه جمل العربية، قال للناس: "انحوا هذا النحو"[106]. أي: اقصدوه. والنّحو: القصد. وفي رواية أخرى أنّ علي بن أبي طالب سلّم أبا الأسود الصّحيفة النّحوية وقال له: "انح هذا النّحو"[107]. فأطلقت كلمة "النّحو" للدّلالة على هذا العلم. وهذه الرواية ترجّح أيضا الزّمن الذي استعمل فيه لأوّل مرة هذا المصطلح، بعد أن تعدّدت فيه الروايات. منها ما ترجعه إلى القرن الأوّل للهجرة قبل عصر ابن أبي إسحاق الحضرمي (تـ117هـ) مع مصطلح "العربية"، وقيل: إنّ أوّل النّحاة الذين استعملوا مصطلح النّحو هو عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي[108].

وكان اللّغويون يخصّون به فرعا من فروع العربية، ويعزّز هذا الرأي، ما نقل عن ابن سلام (232هـ) عن أبيه عن يونس بن حبيب (تـ182هـ)، قال: "وقلت ليونس: هل سمعت من أبي إسحاق شيئا؟ قال: نعم، قلت له: هل يقول أحد "الصويق"؟ يعني السّوق، قال: نعم، عمرو بن تميم تقولها، وما تريد إلى هذا عليك بباب في النّحو يطرد وينقاس"[109].

وتنسب بعض الروايات إلى الخليل بن أحمد (تـ172هـ) أنّه سبق له وأن وقع بين يديه كتابين في النّحو لعيسى بن عمر(تـ 149هـ)، فقال فيهما:

بطل النّحو جميعا كلّه ** غير ما أحدث عيسى بن عمر[110]

---

(104) شرح المفصل: ابن يعيش النحوي (تـ 643هـ)، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي القاهرة، (د.ت): 10/1.

(105) لسان العرب، المصدر السابق: مادة (نحا).

(106) الإيضاح في علل النحو: الزجاجي، تحقيق مازن المبارك: 89. وينظر نزهة الألباب في طبقات الأدباء: ابن الأنباري، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة الأندلس، بغداد، ط(2)، 1970م: 18.

(107) وفيات الأعيان: ابن خلكان(تـ681هـ)، نشره محي الدين عبد الحميد، القاهرة،1367هـ، 1948م: 316/2.

(108) المصطلح النّحوي، السابق: 19.

(109) طبقات فحول الشعراء: ابن سلام (محمد بن سلام، تـ232هـ)، تحقيق محمود شاكر، القاهرة: دار المعارف،1952هـ: 15/1.

(110) المفصل في تاريخ النحو العربي، الجزء الأول قبل سيبويه، السابق: 14.

ومنهم من يرجع أقدم محاولة لتعيين هذا العلم بهذا المصطلح إلى ما ذكره ابن السراج (تـ316هـ): "النّحو إنّما أريد به أن ينحو المتكلّم إذا تعلّم كلام العرب، وهو علم استخرجه المتقدمون فيه من استقراء كلام العرب، حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللغة"[111].

ويبدو أنّ تسمية الإعراب بالنّحو ليست بالمتأخرة، فهي تسمية قديمة، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل المصطلحين للدّلالة على علم واحد، فقد ذكر السيوطي (تـ911هـ) رواية عنه أنّه استعمل كلمة "الإعراب" بمعنى "النّحو" عندما قال: "و ليعلّم أبو الأسود أهل البصرة الإعراب"[112]. كما أنّه استعمل كلمة النّحو بمعنى الإعراب في تلك الرّواية التي شدّد فيها على تعلّمه: " تعلّموا النّحو كما تتعلمون السّنن والفرائض"[113].

و ورد عن الأزهري (تـ 509هـ) أنّه: " ثبت عن أهل اليونان فيما يذكر المترجمون العارفون بلسانهم و لغتهم، أنّهم يسمّون علم الألفاظ و العناية بالبحث عنه نحوا، فيقولون فلان من النّحويين، ولذلك سمي الإسكندراني يحي النّحوي للذي كان جعل له من المعرفة بلغة اليونان"[114].

واستعملت كلمة "نحو" بمعنى "مثل" إلى عهد ابن أبي إسحاق الحضرمي (تـ117هـ)، فنقل عنه أبو عبيدة عن يونس بن حبيبت (تـ182هـ) قوله: "ويزيدون في أوساط (فَعَلَ): افتعل، وانفعل، واستفعل، ونحو هذا"[115]. وشاع فيما بعد في مؤلفات اللغة. وبهذا وصلت كلمة "نحو" إلى مرحلة تؤدي فيها معنى اصطلاحي جديد للدّلالة على ضرب من علوم اللّغة العربية.

وما دار في شأن هذه التّسمية أيضا، هو أنّ المقرئين كانوا يستخدمون كلمة " نحو" ليدلّوا بها على الطريقة العربية في عبارة ما، كأن يقول بعضهم لبعض: العرب تنحو في هذا كذا، أو نحو العرب في هذا كذا، أو أن يسأل سائل: كيف تنحوا العرب في هذا؟ أو أن يقولوا: فلان ينحو في كلامه نحو العرب[116]. ومن المحتمل أيضا أنّ المؤدّبين كانوا يستخدمونها -

---

([111]) الأصول في النحو، السابق: 35.

(112) نفسه: 20

(113) البيان والتبيين، السابق: 219/2

([114]) لسان العرب، ابن منظور، السابق: مادة (نحا)

(115) مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن مثنى(تـ210هـ)، ط(2)، تحقيق فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981م: 316/1.

(116) المفصل في النحو العربي، الجزء الأول، قبل سيبويه، السابق: 15.

كلمة "نحو" - لتوضيح القاعدة وتقريب الفهم بالمثال الفصيح، فصار هذا المعنى المعجمي معنى اصطلاحي من باب تسمية "الكلّ" باسم الجزء.

مصادر المدارس النحوية

ومصادرها

1) القرآن الكريم

يعدّ القرآن الكريم أفصح الكلام العربي على الإطلاق، وهو بذلك يعد أول مصدر في الاحتجاج والأخذ بأنواع الشواهد النحوية واللغوية العربية.

وقد اختلف النحاة في موضوع الاستشهاد بآيات القرآن الكريم وقراءاته، فالكوفيون يعتمدونه بشكل مطلق ويقدمونه على غيره من كلام العرب شعره ونثره، جاهليه، وإسلاميه. يقول الفراء: "إن لغة القرآن الكريم أفصح أساليب العربية على الإطلاق: وإن الكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر"[117].

وأما البصريون، الذين كان لهم السبق في الدراسات اللغوية عموما، فإنهم يتحفّظون قليلا في الأخذ بالقرآن الكريم، وبخاصة في اعتماد القراءات التي طعنوا في بعضها، وأخضعوها لقواعد أقيستهم، فما وافق ذلك اعتمدوه وأخذوا به، وما خالفه طعنوا فيه ورفضوه، واعتبروه شاذا لا يقاس عليه. وقد عمدوا إلى تأويل ما لم يتوافق مع قواعدهم. وهم بذلك يقدمون القياس والقاعدة على نص القرآن الكريم.

وما يمكن ملاحظته على البصريين أنهم في بعض استشهاداتهم كانوا يأخذون بالأشعار المجهولة وقدموها على قراءة مشهورة. من ذلك أن المبرد ردد قراءة حمزة في قوله تعالى: "َاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ". النساء: 1، حيث عطف على الضمير المخفوض دون إعادة الخافض الذي هو الباء فقال: "لا تحل القراءة بها"[118]، هذا لا يعني أن المبرد لم يستشهد بالقرآن الكريم كله، بل استدل بنحو500 شاهد قرآني. ،

2) الحديث النبوي الشريف

يهتم النحاة من حديث النبي صلى الله عليه وسلم ما كان قولا، لأن القول والاستشهاد به هو موضوع النحو ومرجع الأحكام والاستدلال به. واختلف أهل اللغة والنحو حول الشاهد من الحديث النبوي، بين مجيز ومنكر، فمن المجيزين بعض من الكوفيين وكثير من أهل المذهب المغاربي الأندلسي كابن خروف وابن مالك وغيرهما. ومن المنكرين، ابن الضائع

([117])) معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (تـ207ه)، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، د.ط، د.ت: 1/ 14.

([118]) شرح المفصل: ابن يعيش النحوي (تـ 643هـ)، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي القاهرة، (د.ت): 3 /78.

وأبي حيان الأندلسي وكذلك السيوطي .وهناك طرف وسط متحفظ يجيز من الحديث ما صح لفظه كما فعل أبو إسحاق الشاطبي، وبعض البصريين والكوفيين.

ومن الذين لا يحتجون بالحديث يستندون على أنّ بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم رويت بالمعنى. يقول أبو حيان: "إنما ذكر العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول (ص) إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن الكريم في إثبات القواعد الكلية"[119].

غير أنّ ما استندوا عليه واهي وضعيف باعتبار أن الحديث النبوي تم تدوين معظمه قبل نهاية عصر الاحتجاج، ثم إنهم قد احتجوا بأن معظم رواة الحديث أعاجم، وكذلك فإن معظم علماء اللغة أعاجم: سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم كثير، ثم إن كثيرين احتجوا بمرويات حماد الراوية وكان وضاعا ولحانا، والرغم من ذلك، فإن كثيرا من علماء اللغة والنحو قد استشهدوا بالحديث، من بينهم سيبويه والمبرد وابن الأنباري في إنصافه، وحتى السيوطي الذي اعتمد أكثر من 155حديثا.

3) الشعر

تعتبر الشواهد الشعرية أكثر عددا من غيرها، فالشعر "ديوان العرب وخزانه حكمتها ومستنبط آدابها ومستودع علوم"[120]، وبه "حفظت الأنساب وعرفت المآثر وتعلمت اللغة"[121]. والأشعار التي يحتج بها، جاهلية وإسلامية، فالأولى معتمده ومقدمة وغير محدودة بزمن. أما الثانية فقد اختلفوا في حدها الزمني تبعا لاختلاف المكان، واتخذ مجمع اللغة العربية في القاهرة قرارا مفاده أن العرب الذين يوثق بعربيتهم ويستشهد بكلامهم هم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني الهجري، وأهل البدو من جزيرة العرب إلى آخر القرن الرابع الهجري.

([119]) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي (تـ 1093هـ)، تح: وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1418 هـ/1997م:1/ 5.

([120]) الصناعتين: أبوهلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (تـ 395هـ)، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، 1419هـ: 104.

([121]) الصاحبي في فقه اللّغة و مسائلها و سنن العرب في كلامها: ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن زكريا بن فارس تـ395هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، دط، دت: 23.

المدارس العربية القديمة المنهج والتخريج

كان الخلاف من ناحية الاستشهاد بالكلام والاشعار في النحو على أنّ الاستشهاد يتّسع ويضيق بحسب مدارس اللغة والنحو التي نشأت في الحواضر الإسلامية، فالمدرسة البصرية شدّدت في رواية الأشعار والأمثال والخطب، واشترطوا في الشواهد المعتمدة لوضع القواعد أن تكون فصيحة متداولة وكثيرة، وحينما يواجهون بعض النصوص التي تخالف قواعدهم يصفونها بالشذوذ أو يتأوّلونها حتى توافق قواعدهم.

أمّا نحاة مدرسة الكوفة فقد اتّسعوا في الرواية عن جميع العرب بدواً وحضراً، واعتدّوا بأقوال وأشعار ممّن سكنوا حواضر العراق، كما واعتدوا الأشعار والأقوال الشاذّة التي سمعوها من الفصحاء العرب والتي وصفها البصريون بالشذوذ.

أما نحاة المدرسة البغدادية فإنهم توسعوا في الأخذ والاستشهاد بأشعار الطبقة الرابعة، فقد استشهد الزمخشري بشعر أبي تمام (تـ 231هـ) وقال: هو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة، فهو من علماء العربية، فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه.

ومن أهم مظاهر الاختلاف ما نجده في المصطلحات فتعمّد الكوفيون استخدام مصطلحات لتكون لهم مدرسة نحوية مستقلة، إلا أن طريقة العمل والمعنى التي يريدها الكوفيون بهذه المصطلحات لا تختلف في بعض الأحيان عما نجده عند البصريين.

ومن ذلك اصطلاح التقريب، الخاص باسم الإشارة (هذا)، نحو: (هذا زيد قائما)، فجعلوه من أخوات كان، أي ترفع الاسم وتنصب الخبر، بينما يعرب البصريون قائما حالا ويجعلون ما قبلها مبتدأ وخبراً.

وكانوا لا يطلقون كلمة المفعول إلا على المفعول به، أما بقية المفاعيل، فهي المفعول فيه والمفعول المطلق والمفعول لأجله والمفعول معه فكانوا يسمونها أشباه مفاعيل، وسموا الظرف (الصفة والمحل)، وسموا لا النافية للجنس في نحو: (لا رجل في الدار) باسم (لا التبرئة). والصفة في مثل (محمد الشاعر أقدم) باسم النعت. وسموا حروف النفي بحروف الجحد أي الإنكار، كما سموا حروف الزيادة مثل إن في قولك (ما إن أحد رأيته) باسم حروف الصلة والحشو. وسموا المصروف والممنوع من الصرف باسم (ما يجري) و (ما لا يجري). وسموا لام الابتداء في مثل (لزيد شاعر) لام القسم زاعمين أن الجملة جواب لقسم مقدر.

المدارس النحوية في المشرق والمغرب العربيين

بالإضافة إلى المدرستين العريقتين البصرية والكوفية، هناك من أضاف مدرسة ثالثة، وهى مدرسة بغداد النحوية، من هؤلاء: أحمد أمين، ومحمد الطنطاوي، وسعيد الأفغاني، وأحمد مكي الأنصاري الذى جعل الفراء على رأسها، بينما وضعت هدى محمود قراعة على رأسها الزجاج. وذهب طه الراوي إلى وجود أربع مدارس مضيفا المدرسة الاندلسية، مرجعها المدرسة البصرية، أما البغدادية فمرجعها الكوفية.

وأضاف شوقي ضيف مدرسة خامسة، وهي المدرسة المصرية، وزاد على هذا العدد الدكتور عبد العال سالم مكرم مدرسة نحوية سادسة باسم مدرسة الشام النحوية، فألف كتابا بعنوان المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن الهجريين.

منهج المدرسة البصرية وأعلامها

لم يكن الاختلاف بين البصريين والكوفيين اختلافا نشأ عنه نحوان متعارضان، وإنما هو اختلاف في المنهج المعتمد، وفى النظرة الخاصة التي فرضتها كل من البيئتين وما أحاط بنحاتها من ظروف اجتماعية او ثقافية أو لغوية أدت إلى انتهاج منهج اعتمدوا فيه على التوسع في قبول لغات لم يعتد بها غيرهم وسماع أشعار ما وجدت في البيئة الأخرى، هذا ما أفرز أقيسة مختلفة وتعليلات جديدة وتقديرات أو تأويلات فرضتها هذه النصوص.

تأثر نحاة البصرة بالبيئة البصرية وبنهج المعتزلة في الاحتكام إلى العقل واجتناب كل ما يتعارض معه، فأهملوا الشواذ في اللغة، لهذا سمى نحاة البصرة أهل المنطق[122]. ولذا كان البصريون أكثر حرية وأكثر تنظيما في دراساتهم النحوية، وطريقتهم هي الاعتماد على الشواهد الموثوق بها، الكثيرة التداول الشائعة على ألسنة العرب التي تصلح أن تكون قاعدة تتبع للثقة فيها، ولن يكون ذلك إلا إذا وردت في كتاب الله الكريم أو نطق بها العرب الخلص الذين يشهد لهم بفصاحتهم، إذ يرى السيوطي أن البصريين أصح قياسا، لأنهم لا يلتفتون إلى كل مسموع ولا يقيسون على الشاذ.

ومن الأمور التي تراعيها مدرسة البصرة في بحثها الآتي:

1) المادة العلمية:

اعتمد البصريون في مادة منهجهم العلمي على الأفصح من الألفاظ والأسهل منها على اللسان، ولذا كانت القبائل التي اعتمدوا عليها في منأى الاحتكاك بالأمم الأعجمية، فانصب اختيارهم على قيس وتميم وأسدا، فأخذوا أكثر قواعدهم من أهلها في اللغة والإعراب والتصريف ثم اخذوا من هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يأخذوا عن أهل الحضر

([122]) المدارس النحوية: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر: 124.

ولا من سكان البراري ممن كانوا بجوار الأمم الأخرى، ومن هنا رفضوا الأخذ من لخم وجذام لمجاورتهم أهل مصر، ولم يأخذوا من قضاعة ولا من غسان ولا من إياد لمجاورتهم أهل الشام، ولا من النمر لمجاورتهم اليونان، ولا من بكر لمجاورتهم النبط والفرس.

2) سلامة لغة المأخوذ عنهم:

كان البصريون يختبرون سلامة لغة من يشكون في لغته، بالرغم من فصاحته التي يشهد له بها.

3) التأكد من الثقات في صحة المروي:

كان البصريون يتحرون عن الرواة فلا يأخذون إلا برواية الثقات الذين سمعوا اللغة من الفصحاء عن طريق الحفظة والأثبات الذين نقلوا المرويات عن قائليها منسوبة إليهم فقد أبوا أن يستدلوا بشاهد لم يعرف قائله.

4) الكثرة (لغة كثيرة التداول لا قليلة)

اشترط البصريون فيما ينقل عن العرب الكثرة، فيقعدون على الأكثر وإلا فعلى الكثير، وإلا فعلى القليل، وإلا فعلى الأقل، وإلا فعلى النادر، وإلا قاسوا الأشباه على الأشباه، والنظائر على النظائر إذا لم يتناقص مع الوارد، ولذا اعتبر سيبويه قياس فعولة بفعيلة في النسب إليها بحذف حرف المد وقلب الضمة فتحة، وإن لم يرد منها إلا شنيء في النسب إلى شنوءه، لأنه لم يرد ما يخالفها فإذا ما خالف الوارد ما سبق من قياس أولوه أو اعتبروه شاذا يحفظ ولا يقاس عليه.

مصادر الدراسة عند البصريين

القرآن الكريم :

أقام البصريون نحوهم على القرآن الكريم، حيث كانوا يستشهدون في كثير من المسائل بآيات من القرآن الكريم، فكان القرآن أحد مصادرهم المهمة والأساسية، ولم يأخذوا بقراءات عدة وهي شيء من العربية، ولها أساس في لغة العرب فقد حملوا على الخطأ قراءة نافع لقوله تعالى: " لهم فيها معائش " بالهمز في معائش وحجتهم في التخطئة أن الياء في "معايش" أصلية لأنها من المد في " معيشة " والمد الأصلي لا يبدل همزة، مع علمهم أن للقراءة سندا متصلا، وأن القراءات السبع مما يجب أن يؤخذ بها، وهي حجة قائمة. وفي قوله تعالى: "السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما " فكانوا يقرأون: " والسارقُ والسارقةُ " بالرفع على الابتداء، بينما الخبر (فاقطعوا ...)، وجعله ذلك يقرأون (السارق والسارقة)ا بالنصب على المفعولية. كان البصريون لا يكترثون بالقراءات التي تخالف قواعدهم معتقدين أنها من ابتداع القراء وليس لها من سند يوصلها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنها في واقع الأمر هي قراءات مشهورة مع اتصال سندها، فقد خطأوا قراءة حمزة مقرئ أهل الكوفة لقوله تعالى: " واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام "، بجر " الأرحام" وهي قراءة مشهورة، وهي إحدى القراءات السبع المعروفة. ووجه الخطأ حسبهم أنه لا

يجوز العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار.

الشعر العربي:

اعتبر البصريون الشعر العربي أصلا من أصولهم في الاحتجاج، كما اعتمدوا على الشعر الإسلامي فاستشهدوا في نحوهم بشعر الفرزدق، وجرير، والعجاج، ورؤبة، وأبي النجم، وابن هرمة الذي ولد سنة تسعين للهجرة وعمر طويلا حتى تجاوز منتصف القرن الثاني. إذن فالمادة التي اعتمد عليها البصريون في الاحتجاج هي لغة القرآن الكريم، والشعر العربي القديم جاهليه وإسلاميه، وما أثر من الأمثال الجاهلية. وقد خطّأ البصريون الكثير من الشعراء الفصحاء من الجاهليين من ذاك تخطئة عيسى بن عمر الثقفي للنابغة في قوله:

فبت كأني ساورتني ضئيلة ** من الرقش في أنيابها السم ناقع

حيث قال عيسى بن عمر أساء النابغة إنما هو "ناقعاً"، إذ جعل القافية مرفوعة وحقها أن تنصب على الحال لأن المبتدأ قبلها تقدمه الخبر وهو الجار والمجرور، وكان النابغة ألغاهما لتقدمهما وجعل " ناقعا" الخبر.

وخلاصة ذلك أنّ البصريين تحروا ما نقلوه عن العرب، ثم استقرأوا أحواله، فوضعوا قواعدهم على الأعم الأغلب، فإن وجدوا نصوصا قليلة لا تشملها قواعدهم، اتبعوا إحدى طريقتين: إما أن يتأولوها حتى تنطبق عليها القاعدة، وإما أن يحكموا عليها بالشذوذ أو بالحفظ دون القياس عليها.

وقد غلّبوا القياس على المسموع، مؤولين الشواهد التي تخالف قياسهم، كما قالوا بما سموه مطردا في السماع شاذا في القياس، نحو: (استحوذ) و (استصوب) والقياس فيهما الإعلال، نحو: (استقال) و (استجاد) و (استطال) فقالوا: تحفظ الكلمات النادرة التي وردت عن العرب في هذا الباب، ولا يقاس عليها.

ومنهم من ذهب إلى أن اتخاذ القياس، والقول (استحاذ) و (استصاب) غير خطأ.

أشهر علماء مدرسة البصرة

من أهم أعلام هذه المدرسة ابن أبي اسحاق الحضرمي، وعيسى بن عمر الثقفي، وأبو عمر بن العلاء ويونس بن حبيب، وقطرب، وأبو عمر الجرمي، وأبو عثمان المازني، والمبرد، والزجّاج، وابن السراج، والسيرافي، والخليل بن أحمد وسيبويه.

-1 سيبويه: هو عمرو بن عثمان بن قنبر، من موالي بني الحارث ابن كعب، فارسي الأصل والمولد، بصري المربى والنشأة، لم يعمر طويلا، وتوفي سنة 180 هـ على أرجح الروايات، خدم العربية، وأهدى لها كتابا عُرف بالكتاب، وأطلق عليه (قرآن النحو)، اعتمده النحويون في دراساتهم. وتقول بعض الروايات أنّ سيبويه لم يكن له الفضل الأكبر في تأليف الكتاب، بل أخذ معظمه عن أستاذه الخليل بن أحمد، فقد قال أبو عثمان المازني:

"من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح". وقال الجاحظ: أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك وزير المعتصم ففكرت في شيء أهديه له، فلم أجد شيئا أشرف من كتاب سيبويه، فلما وصلت إليه قلت له: لم أجد شيئا أهديه لك مثل هذا الكتاب، وقد اشتريته من ميراث الفراء، فقال: والله ما أهديت لي شيئا أحب إلي منه. وقد توفر عدد كبير من العلماء القدامى على شرح (الكتاب) وتعليمه. وكان هذا الكتاب مصدر الكثير من الدراسات قديما وحديثا.

2) المبرد: هو أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، أحد كبار أعلام العربية، انتهت إليه زعامة النحو البصري، ولد بالبصرة أوائل القرن الثالث الهجري، وبها نشأ وتلمذ للجرمي وأبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني والزجاج وأبي بكر بن السراج غيرهم من شيوخ البصرة. درس كتاب سيبويه وأحاط به ونقد بعض ما فيه بعد ذلك. انتقل إلى بغداد واستقر فيها فعاصر تغلب، وعقد معه مناظرات لغوية التي أثرت النشاط العلمي في بغداد. ومن مؤلفاته كتابه المقتضب ألفه في أواخر السنوات من عمره، يمثل به المذهب البصري أحسن تمثيل، كما ألف كتاب (الكامل)، توفي 285هـ.

طبقات علماء مدرسة البصرة

قسمت كتب الطبقات طبقات العلماء على النحو الآتي:

الطبقة الأولى :

تبدأ من عهد نصر بن عاصم (تـ 89هـ) إلى يحي بن يعمر (تـ 129هـ)

الطبقة الثانية:

تبدأ من عهد عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (تـ 117هـ) إلى عهد أبي عمرو ابن العلاء (تـ 154هـ).

الطبقة الثالثة :

تبدأ من عهد الأخفش الأكبر (تـ 172هـ) إلى عهد يونس بن حبيب (تـ 182هـ).

الطبقة الرابعة :

تبدأ من عهد سيبويه (تـ 180هـ) إلى عهد أبي زيد الأنصاري (تـ 215هـ).

الطبقة الخامسة:

كانت في عهد الأخفش الأوسط (تـ 211هـ).

الطبقة السادسة :

كانت في عهد الجرمي (تـ 255هـ).

الطبقة السابعة: كانت في عهد المبرد (تـ 285هـ).

مدرسة الكوفة

بدأ اشتغال الكوفة بالنحو في حياة الخليل؛ أي بعد وفاة أبي الأسود بنَحْوِ تسعين عامًا؛ فقد كانت وفاته سنة 69هـ، وكانت الكوفة في خلال هذه الفترة مشتغلة على خلاف البصرة بالفقه ووضع أصوله وفتاواه، وبالقراءات وروايتها رواية دقيقة، مما جعلها تحظى بمذهب فقهي هو مذهب أبي حنيفة، وبثلاثة من القراء السبعة الدين شاعت قراءاتهم، وهم: عاصم وحمزة والكسائي، كما كان لها عناية مميزة وواسعة برواية الأشعار القديمة.

وسمى علماء الكوفة بالكوفيين تمييزا بينهم وبين علماء البصرة، الكوفيين لم يُعرف عنهم هذا الاسم إلاّ في القرن الرابع، وأنّ الكوفية اسم اخترعه البغداديون الذين أخذوا بمذهب البصريين، وسمّوا أنفسهم بالبصريين تمييزا لأنفسهم عن مخالفيهم من البغداديين الذين أخذوا بمذهب البغداديين الأوائل.

يذكر أنّ النحو الكوفي بدأ بالكسائي وتلميذه الفراء فهما اللذان رسما صورة لهذا النحو ووضعا أسسه وأصوله. ويرى بعضهم أنّ بداية النحو الكوفي كانت لأبي جعفر الرواسي ومعاد الهراء، فالرواسي أخد النحو عن عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء، وعاد إلى الكوفة فتتلمذ عليه الكسائي، وألف لتلاميذه كتابا في النحو أسماه (الفيصل). وكان يعاصره معاد الهراء أخد النحو والصرف من البصرة ثم عاد إلى الكوفة وتفرغ للتعليم وأخذ عنه الفراء.

يرى بعض الدارسين أن الأخفش هو الذي ألهم الكوفيين المتأخرين الاعتداد بالقراءات الشاذة للقرآن الكريم، مخالفة لسيبويه وأستاذه الخليل، مما عدّه بعضٌ أنّه الأول في توجيه الكوفيين إلى تأسيس مدرستهم. ثم أعطاها الفراء الذي يقوم في الكوفة مقام سيبويه في البصرة تشكلها النهائي، وأنهى ما نقصها علماؤها وفي مقدمتهم ثعلب.

منهجها:

يمكن إجمال منهج مدرسة الكوفة في التالي:

- الاتساع في الرواية والاتساع في القياس- بحيث يقاس على الشاذ – ثم المخالفة في بعض المصطلحات النحوية وما يتصل بها من العوامل.

- اعتدّ الكوفيون بأقوال وأشعار المتحضرين من العرب كما اعتدوا بالأقوال والأشعار الشاذة مما خرج على قواعد البصريين، هذا ما جعل القواعد عندهم تختلف وتتضارب، حتى قيل فيهم: " لو سمع الكوفيون بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلا وبوبوا عليه ".

- إن الصلة بين المدرسة الكوفية والمدرسة البصرية في النحو ظلت قائمة على مدار الزمن، ومن الطبيعي وجود عدد من نحاة الكوفة قد تأثروا بالمذهب البصري، وعلمائه

كتأثر الكسائي بأستاذه الخليل بن أحمد، وتأثر الأخفش بسيبويه، وتتلمذ الفراء على يونس بن حبيب.

وكان لهذا التمييز بين المدرستين بدءا لخلاف واسع بينهما، مما جعل بعض البصريين يفخر على الكوفيين بقوله: نحن نأخذ عن حرشة وأكلة اليرابيع، وأنتم تأخذون عن أهل السواد أكلة الكواميخ والشواريز.

- إن توسع الكوفيين في القياس ما نجده من استخدامهم القياس أحيانا من دون استناد إلى أي سماع.

علماؤها:

من أبرز علمائها: الكسائي، وأبو عمرو الشيباني، وعلي بن المبارك، والفراء، وقطرب وغيرهم. ومن المتأخرين: أبو العباس بن ثعلب، وابن الأعرابي، و ابن السكيت، وأبو جعفر الكوفي، ونفطويه، وأبو بكر الأنباري.

مدرسة بغداد

نشأ النحو في البصرة والكوفة، وتطور على أيدي علماء البيئتين حتى وصل إلى درجة عالية من النضج والكمال.

وعندما رأس محمد بن يزيد المبرد علماء البصرة، وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب علماء الكوفة، انتقل هذان العالمان للتعليم في بغداد، فاشتدت بينهما المنافسة العلمية، وكثرت المناظرات، مما جعل الدارسون يقبلون عليهما، ويأخذون عنهما معا. فتخيروا من هذا وذاك ما يراه كل واحد مناسبا لاتجاهه. وعلى إثر ذلك قامت المدرسة البغدادية على مبدأ الاختيار من آراء المدرستين البصرية والكوفية معا.

ومع بداية القرن الرابع الهجري أخذت مدرسة بغداد تتميز بمنهجها الخاص، ولم يكن هذا المنهج جديدا من حيث الأسس، أو طرق الاستنتاج، ولكنه منهج يقوم على الانتقاء من المدرستين مع ظهور الميل إلى المدرسة الكوفية في الكثير من الأحيان، وإلى المدرسة البصرية أحيانا أخرى. ولم يبق لعلماء هذه المدرسة من زيادة في علم اكتمل على أيدي علماء المدرستين البصرية والكوفية سوى بعض التعديلات. ثمّ كانت لها السيطرة بمنهجها وفكرها، إلى أن طغت على مدرستي الكوفة والبصرة.

إن جمهور الجيل الأول من البغداديين كانت تغلب عليه النزعة الكوفية، فأطلق عليهم الكوفيين تارة، وتارة أخرى البغداديين، ومن هؤلاء: ابن كيسان (299 هـ)، وابن شقير (تـ 315هـ)، وابن الحياط (تـ 320هـ).

أما الجيل الثاني فكانت تغلب عليه النزعة البصرية على نحو الزجاجي، وأبي علي الفارسي، وتلميذه ابن جني، وكان أشد منه نزوعاً إلى آراء المدرسة البصرية، ولعلهما من أجل ذلك كان ينسبان أنفسهما إلى تلك المدرسة، وهما بغداديان، يقفان غالباً مع البصريين وقد يقفان مع الكوفيين حسب ما يقتضيه اجتهادهما، وقد يخالفهما جميعاً حسب ما صح عندهما من الرأي الصائب.

ويمكن في الأخير إجمال ما تميزت به هذه المدرسة في التالي:

1) جمعت المدرسة البغدادية بين المذهبين (البصري والكوفي).

2) اتباع نهج من انتهت إليهما رئاسة الدرس النحوي في هذه البيئة، وهما: المبرد وثعلب.

3) اللجوء إلى التحليل والتأويل والحجاج والجدل المصحوب بالاستدلال والتعليل أهم ما ميز الدرس النحوي، فابن جنّي مثلاً أكثر من التعليل، وكذلك ابن كيسان الذي اعتمد على التعليل ودفعه ذلك إلى تأليف كتابه "المختار في علل النحو".

4) اللجوء إلى استعمال أسلوب تقسيم الموضوع إلى أجزائه وأحواله وأنواعه، ثم حد كل جزء منها بما يميزه من الأجزاء والأنواع الأخرى، ثم البدء بالاستدلال عليها والاحتجاج لها والتعليل لما هو محتاج لذلك.

5) تأثر بعض البغداديين بألفاظ أهل المنطق وعلم الفلسفة ومصطلحاتهم، فاستخدموها في كتبهم اللغوية والنحوية، كالعرض، والجوهر، والعلة، وعلة العلة، والدليل والحجة إلى غير ذلك.

6) الاعتماد على الفصيح من المسموع والتثبت منه، ويمثل ذلك كتاب ابن جنّي (الخصائص)، الذي اهتم فيه بالموضوعات الصرفية والنحوية والصوتية.

7) اهتمام البعض منهم بالعامل النحوي، ووضعوا له الأحكام والأصول، منهم ابن كيسان المتأثر بالبصريين، فلم يجز عنده تقديم المعمول على العامل.

8) لا نجد الدارسين البغداديين يتابعون مذهباً من المذهبين متابعة خالصة، وإنما اختاروا ما يرون صحته.

علماء المدرسة البغدادية

وأشهر علماء بغداد النحويين الزجاجي وأبو علي الفارسي، وابن جني، والزمخشري، وابن الشجري، وابن الأنباري، والعكبري، وابن يعيش، والرضي الاستراباذي، وابن قتيبة الدينوري، أبو إسحاق الموصلي، أبوسعيد السيرافي، وأبو القاسم الزجاجي، وأبو الحسن الرازي، والرماني، وغيرهم.

الاختلاف النحوي بين مدارس النحو (المشرق)

من الواضح أنّ الخلاف كان من ناحية الاستشهاد في الكلام والاشعار في النحو، على أنّ الاستشهاد يمتد ويتقلص بحسب مدارس النحو التي نشأت في الحواضر الإسلامية، فالمدرسة البصرية شدّدت في رواية الأشعار والأمثال والخطب، واشترطوا في الشواهد المعتمدة لوضع القواعد أن تكون متداولة على ألسنة العرب وشائعة الاستعمال في كلامهم، بحيث تمثّل اللغة الفصحى خير تمثيل، وإن كانت هناك نصوص تخالف قواعدهم، فهي بالنسبة لهم تتميز بالشذوذ وبالتالي لا يقاس عليها، أو يتأوّلونها حتى تنطبق عليها قواعدهم.

وهي بذلك فإنها قد سعت إلى أن تكون القواعد عند علمائها مطردة اطرادا واسعا، بميلهم إلى طرح الروايات الشاذة دون أن يتخذوها أساسا لوضع قانون نحوي، رافضين كذلك الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، متشددين في رواية الأشعار، وعبارات اللغة.

هذا ما ينمّ عن أن البصريين تحروا ما نقلوا عن العرب، ثم استقرأوا أحواله، فوضعوا قواعدهم على الأعم الأغلب، فإن اعترضتهم نصوص قليلة لا تشملها قواعدهم، اتبعوا فيها إما التأويل حتى تنطبق عليها القاعدة، وإما أن يحكموا عليها بالشذوذ، والشاذ لا يقاس عليه عندهم.

كما أنّهم غلبوا القياس على المسموع مؤولين الشواهد التي تخالف قياسهم، كما قالوا بما سموه مطردا في السماع شاذا في القياس، وذلك نحو: (استحوذ) و (استصوب) والقياس فيهما الإعلال، نحو: مثل (استقال)، و (استطال) .

ومنهم من ذهب إلى أن اتخاذ القياس، والقول (استحاذ) و (استصاب) غير خطأ.

ومن أمثلة الخلاف بين المدرستين: أنَّ البصرِيّين لا يُجيزون تَقَدُّم الفاعل على فعله، ولا يَمْنَعُهم منه قول الزَّبَّاء:

مَا لِلْجِمَالِ مَشْيُهَا وَئِيدَا ** أَجَنْدَلاً يَحْمِلْنَ أَمْ حَدِيدَا؟

لأنَّهم يعدّونه من قبيل الضرورة، ويُعرِبون (مَشْيَهَا) مبتدأ حُذف خَبَرُهُ، وسَدَّتِ الحالُ (وَئِيدًا) مَسَدَّهُ، والتقدير: مَشْيُهَا يَظْهَرُ وَئِيدًا.

أمَّا الكوفيّون: فقد أخذوا بالشاهد، وأجازوا تقديم الفاعل على فعله، كما قدَّمَتْ (مَشْيُهَا) على (وَئِيدًا) [123].

(123) إنباه الرواة أنباه الرواة على أنباه النحاة: القفطي جمال الدين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم يحيى، يحيى، المكتبة العصرية، ط1، 2004: 16/1.

وتوسع الكوفيون في الرواية عن جميع العرب بدواً وحضرا، واعتدّوا بأقوال وأشعار المتحضّرين من العرب ممّن سكنوا حواضر العراق، واعتمدوا الأشعار والأقوال الشاذّة التي سمعوها من الفصحاء العرب والتي وصفها البصريون بالشذوذ.

من أهم مظاهر الاختلاف أيضا أنّ الكوفيين استعملوا بعض المصطلحات النحوية التي تختلف عن مصطلحات البصريين على الرغم من أن طريقة العمل والمعنى التي يقصدها الكوفيون بهذه المصطلحات في كثير من الأحيان لا تختلف عما ذهب إليه البصريون.

الاختلاف في المصطلحات:

ومن ذلك اصطلاح التقريب، وقد اختصوا به اسم الإشارة (هذا)، في نحو: (هذا زيد قائما)، وجعلوه من أخوات كان، أي أنه يرفع الاسم وينصب الخبر. بينما كلمة (قائما) عند البصريين تعرب حالا، وما قبلها مبتدأ وخبراً.

وكانوا لا يطلقون كلمة المفعول إلا على المفعول به، أما بقية المفاعيل، فهي المفعول فيه والمفعول المطلق والمفعول لأجله والمفعول معه، فكانوا يسمونها أشباه مفاعيل، وسموا الظرف (الصفة والمحل)، وسموا لا النافية للجنس، في نحو: (لا رجل في الدار)، باسم (لا التبرئة). والصفة في نحو: (الطالب الذكي نجح) باسم النعت. وسموا حروف النفي بحروف الجحد، أي الإنكار، وأطلقوا المصروف والممنوع من الصرف باسم (ما يجري)، و(ما لا يجري).

توصل محمد الطنطاوي في كتابه (نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة) إلى جمع ما أمكن جمعه من مسائلَ الخلاف بين (البصريين) و(الكوفيين) حسب ما أورده أبو البركات الأنباري في (كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف)، وأبو البقاء العكبري في كتاب (التبيين في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين)، وهذا معظم ما توصل إليه من خلاف:

- الاسم مشتق من السمو عند البصريين. وقال الكوفيون من الوسم.
- الأسماء الستة معربة من مكان واحد. ويرى الكوفيون من مكانين.
- الفعل مشتق من المصدر. وعند الكوفيين فهو مشتق من الفعل.
- الألف والواو والياء في التثنية والجمع حروف إعراب. وإنها إعراب عند الكوفيين.
- الاسم الذي فيه تاء التأنيث كطلحة لا يجمع بالواو والنون. وهو عند الكوفيين يجوز.
- فعل الأمر مبني. وهو عند الكوفيين معرب.
- المبتدأ مرتفع بالابتداء والخبر بالمبتدأ. ويرى الكوفيون المبتدأ يرفع الخبر والخبر يرفع المبتدأ.
- إذا جرى اسم الفاعل على غير من هو له وجب إبراز ضميره. عند الكوفيين لا يجب.
- يجوز تقديم الخبر على المبتدأ. عند الكوفيين لا يجوز.

- الاسم بعد لولا يرتفع بالابتداء. قال الكوفيون بها أو بفعل محذوف.
- العامل في المفعول الفعل وحده، ويرى الكوفيون الفعل والفاعل معا، أو الفاعل فقط، أو المعني، أقوال لهم.
- المنصوب في باب الاشتغال بفعل مقدر، وعند الكوفيين بالظاهر.
- نعم وبئس فعلان ماضيان، وهما عند الكوفيين إسمان.
- أفعل في التعجب فعل ماض، وهو عند الكفيين اسم.
- لا يبنى فعل التعجب من الألوان، وعند الكوفيين يبني من السواد والبياض فقط.
- المنصوب في باب كان خبرها وفي باب ظن مفعول ثان، وعند الكوفيين هما حالان.
- لا يجوز تقديم خبر ما زال ونحوها عليها، وأجازه الكوفيون.
- يجوز تقديم خبر ليس عليها، وهو عند الكوفيين لا يجوز.
- خبر إن وأخواتها مرفوع بها، وعند الكوفيين لا تعمل في الخبر.
- إذا خففت إن جاز أن تعمل النصب، ويرى الكوفيون أنّها لا تعمل.
- اللام الأولى في لعل زائدة، وعند الكوفيين أصلية.
- لا النافية للجنس إذا دخلت على المفرد النكرة بني معها، وعند الكوفيين معرب.
- لا يجوز تقديم معمول أسماء الأفعال عليها نحو: دونك وعليك، وأجازه الكوفيون.
- المفعول معه ينتصب بالفعل قبله بواسطة الواو، ويرى الكوفيون بالخلاف.
- لا يجوز تقديم التمييز على عامله مطلقا، ويجوز عند الكوفيين إذا كان متصرفا.
- المستثنى منصوب بالفعل السابق بواسطة إلا، وهو عند الكوفيين منصوب على التشبيه بالمفعول.
- لا تكون "إلا" بمعنى الواو، قد تكون عند الكوفيين.
- لا يجوز تقديم الاستثناء في أول الكلام .وهو يجوز عند الكوفيين.
- إذا فصل بين "كم" الخبرية وبين تمييزها بظرف لم يجز جره. وهو يجوز عند الكوفيين.
- الميم المشدودة في اللهم عوض من "يا" في أول الاسم. وأصله – عند الكوفيين - يا الله أمنا بخير فحذف ووصلت الميم المشددة بالاسم.
- رب حرف. وهي عند الكوفيين اسم.
- الجر بعد واو رب برب المقدرة. وهي عند الكوفيين مجرورة بالواو.
- المرفوع بعد "مذ ومنذ" مبتدأ. وهو عند الكوفيين مرفوع بفعل محذوف.
- أيمن الله في القسم مفرد .وهو عند الكوفيين جمع يمين.
- كلا وكلتا مفردان لفظا مثنيان معنى، وعند الكوفيين: مثنيان لفظا ومعنى.
- لا يجوز العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار، وعند الكوفيين يجوز بدونه.
- لا تقع أو بمعنى الواو ولا بمعنى بل. وهو عند الكوفيين يجوز.

- لا يجوز العطف بلكن بعد الإيجاب. وقالوا يجوز.
- يجوز صرف أفضل منك في الشعر .وهو عند الكوفيين لا يجوز.
- لا يجوز ترك صرف المنصرف في الضرورة، وهو عند الكوفيين يجوز.
- يرتفع المضارع لوقوعه موقع اسم الفاعل. ويرتفع عند الكوفيين بحروف المضارعة.
- إذا حذفت أن الناصبة فالاختيار ألا يبقى عملها. ويبقي عملها عند الكوفيين.
- كي تكون ناصبة وجارة، وهي عند الكوفيين لا تكون حرف جر.
- لام كي ولام الجحود ينصب الفعل بعدهما بأن مضمرة، وتنصب عند الكوفيين باللام نفسها.
- النصب بعد حتى بأن مضمرة، وتنصب عند الكوفيين بحتى.
- "إن" لا تكون بمعنى إذ. قد تكون بهذا المعنى عند الكوفيين.
- لا يؤكد فعل الاثنين وفعل جماعة المؤنث بالنون الخفيفة. ويجوز عند الكوفيين.
- ذا والذي وهو وهي بكمالها الاسم .وقالوا الذال والهاء فقط.
- يقال فإذا هو هي. ويقال عند الكوفيين فإذا هو إياها.
- أعرف المعارف المضمر، وقالوا المبهم.
- ذا وأولاء ونحوهما لا يكون موصولا. .وقال الكوفيون يكون.

أما البغداديون فقد أخذوا عن البصريين والكوفيين، ومادة الدرس عند هؤلاء إنما هي النحو البصري المتمثل في كتاب سيبويه، وكل ما في الأمر أنهم خلطوا أقوال هؤلاء وهؤلاء وانتخبوا من هؤلاء وهؤلاء، ويسر لهم هذا أن بغداد كانت مقصد البصريين والكوفيين لأنها عاصمة الخلافة الإسلامية وموطن الأعمال واكتساب الرزق.

والمذهب البغدادي إذن هو مذهب انتخابي ضم الخصائص المنهجية للمدرستين جميعا، على نحو ما فعل ابن مالك في محاولته الجمع بين المذهبين وانتهاجه منهجا وسطا بينهما.

وهكذا كان البغداديون في موضع يمكنهم من الانتفاع بعلم البصريين وعلم الكوفيين في وقت واحد، وبدخول بعض المصطلحات النحوية في الاستعمال النحوي المعاصر من خلال البغداديين والمتأخرين من أصحاب الشروح، أصبح طلاب النحو لا يفرقون بين البصري والكوفي من المصطلحات.

الاختلاف النحوي بين مدارس النحو (المغرب)

عرف الأندلسيون والمغاربة نحو الكوفة قبل أن يعرفوا نحو البصرة، ووصل إليهم كتاب الكسائي قبل أن يصل كتاب سيبويه، وكان جودي بن عثمان الطليلي (تـ 198هـ) أول من أدخل كتاب الكسائي إلى الأندلس، بعد أن انتقل إلى المشرق فاجتمع بالكسائي والفراء، وألف كتابا في النحو.

أما كتاب سيبويه فأقدم من حفظه من المغاربة القرويين أبو عبد الله الملقب بالنعجة.

وبالرغم من ميل المغاربة للمذهب الكوفي، فقد أقبلوا على دراسة كتاب سيبويه والعناية به، نقدا، و قبولا و ردا.

فالمغاربة الأوائل الذين عرفوا كتاب الأخفش ومؤلف الكسائي ثم كتاب سيبويه أمثال ابن مالك وابن أجروم الفاسي، كانوا يعتنون اعتناء كبيرا بكتاب سيبويه، بينما يحافظون على مذهب الكوفة ثم يحاولن خلق مدرسة أندلسية مغربية ذات إضافات لما ذهب إليه البصريون والكوفيون، وما اختلف معهما فيه البغداديون. وليس بذلك بغريب على المغاربة، إذ أنّ الكسائي قرأ كتاب سيبويه على الأخفش سرا، و مات الفراء و كتاب سيبويه تحت وسادته، مع أنهما كانا يخالفان مذهب سيبويه حتى في ألقاب الأعراب و تسمية الحروف.

فابن جروم محمد بن داوود الصنهاجي صاحب المقدمة المشهورة بالأجرومية، يظن أن منها اشتقت كلمة (جرامير grammaire) الأعجمية للدلالة على النحو. كان من الذين يدرسون كتاب سيبويه وهو مع ذلك كوفي متمسك بمذهبه، فقد عبر بالخفض كما يعبر الكوفيون لا بالجر، و قال الأمر مجزوم وهو ظاهر في أنه معرب.

استمر المغاربة في اختياراتهم الكوفية بالمذهب البصري وبدراسة كتاب سيبويه ومناقشة الآراء جميعها. كما كانت لهم إضافات أحدثها علماء الأندلس والمغرب، منهم ابن خروف المتوفى سنة (909هـ)، وابن عصفور، والشلوبين وغيرهم.

ثمّ ازدهر الدرس النحوي في الأندلس منذ عصر ملوك الطوائف، فبعد أن خالط علماؤها جميع النحاة السابقين من بصريين وكوفيين وبغداديين، ونهجوا نهجهم واختاروا من آراء نحاة الكوفة والبصرة، وأضافوا إلى ذلك اختيارات من آراء البغداديين، وخاصة أبي علي الفارسي وابن جني. ولم يكتفوا بذلك، بل راحوا اتجاههم نحو الكثير من التعليلات.

وعرف عن العلماء المغاربة والأندلسيين ما يعكس مذهبهم مخالفتهم للمعروف من المذاهب البصرية والكوفية والبغدادية، فمن الأمثلة التي تجسد الآراء النحوية للمذهب الأندلسي المغربي:

ـ منع توكيد العائد المنصوب المحذوف قياسا، نحو: جاء الذي ضربت نفسه، قال الأشموني "ومنعه ابن السراج وأكثر المغاربة"[2].

ـ اعتبار الفعل القلبي معلقا عن الجملة المسبوقة بالمعلق بعد المفعول الأول، قال ابن هشام "قال جماعة من المغاربة: إذا قلت: علمت زيدا لأبوه قائم، أو ما أبوه قائم، فالعامل معلق عن الجملة وهو عامل في محلها النصب على أنها مفعول ثان، وخالف في ذلك بعضهم لأن الجملة حكمها في مثل هذا أن تكون في موضع نصب وأن لا يؤثر العامل في لفظها وإن لم يوجد معلق، وذلك نحو: علمت زيدا أبوه قائم[3]."

ـ تجويزهم تأخير حال الفاضل عن اسم التفضيل، قال السيوطي: "وأجاز بعض المغاربة تأخير الحالين عن أفعل بشرط أن يليه الحال الأولى مفصولة عنه من الثانية، فيقال: هذا أطيب بسرا منه رطبا، وزيد أشجع أعزل من عمرو ذا سلاح قال أبو حيان: وهذا حسن في القياس لكنه يحتاج إلى سماع[4]."

ـ اعتبارهم نصب "غير" في الاستثناء كنصب المستثنى بإلا، قال ابن هشام" :وانتصاب "غير" في الاستثناء عن تمام الكلام عند المغاربة كانتصاب الاسم بعد إلا عندهم[5]."

ـ جواز العطف في تمييز المقدار المكون من الجنسين، نحو: عندي رطل سمنا وعسلا، قال السيوطي: "وقال بعض المغاربة: الأمران سائغان العطف وتركه[6]."

ـ عدم اعتبار العطف لأم المنقطعة مطلقا، قال الصبان: "فابن جني والمغاربة يقولون ليست بعاطفة أصلا لا في مفرد ولا في جملة[7]."

ـ تصحيحهم عمل "أن" المخففة المفتوحة في الظاهر أيضا، قال السيوطي: "الثاني أنها تعمل في المضمر وفي الظاهر نحو علمت أن زيدا قائم، وقرئ "أن غضب الله عليها" وعليه طائفة من المغاربة[8]."

ـ تسويغهم نصب المضارع بعد الفاء في جواب الاستفهام المتضمن وقوع الفعل، نحو: لم ضربت زيدا فيجازيك؟ مخالفين اشتراط النحاة عدم الوقوع، قال الأشموني: "ولم يشترط ذلك المغاربة[9]."ص132

ـ قصر حذف "أن" الداخلة على المضارع على السماع سواء أبقي منصوبا أم رفع، قال الأشموني: "وإليه ذهب متأخرو المغاربة، قيل وهو الصحيح[10]."

والثورة الظاهرية على المذهب المالكي في الفقه زمن ابن حزم، ولا سيما زمن الموحدين، صاحبتها ثورة ظاهرية على المدارس النحوية. فدرس ابن مضاء كتاب سيبويه، فالمدرسة النحوية في الأندلس والمغرب نشأت في مهد كوفي و اهتمت بالنحو البصري ولا سيما بسيبويه.

وكان ابن مضاء القرطبي شاهدا على عصرين من عصور الأندلس، هما عصر المرابطين (493-541هـ)، وعصر الموحدين (541-668هـ)، وكان ظاهريَ الفكر، وكانت له آراء نحوية منبثقة عن هذا الفكر، وجد في عصره خلافا نحويا في كثير من أصوله ما يوشك أن يباعد بين مصادره الأولى، فحذف من النحو ما يمكن الاستغناء عنه، ومن هذه المسائل التي لا يرى فيها ضرورة نحوية: ذلك ينحصر في مسائل:

ـ العوامل، أي أن النصب والخفض والجزم لا يكون إلى بعامل لفظي، وأن الرفع منها يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي، وعبروا عن ذلك بعبارة توهم في قولنا: ضرب زيد عمرو، أن الرفع الذي في زيد والنصب الذي في عمرو وإنما أحدثه ضرب ومعنى كلام ابن مضاء هذا أن البصريين يجعلون الفاعل مرفوعا بالفعل والخبر مرفوعا بالمبتدأ بينما يجعلون المبتدأ مرفوعا بالابتداء.
ـ اعترض على العوامل و التقديرات المحذوفة وقال: إن المحذوف في صناعتهم ثلاثة أقسام: محذوف لا يتم الكلام إلا به، حذف لعلم المخاطب به، كقوله لمن رأيته يعطي الناس أعط زيدا، والثاني محذوف لا حاجة بالقول إليه، وهو تام دونه، وإن ظهر كان عيبا كقوله: أزيدا ضربت. وأما القسم الثالث فهو مضمر إذا ظهر تغير الكلام عن ما كان عليه قبل إظهاره كقولنا يا عبد الله أي يدعو عبد الله فإذا ظهر فعل أدعو تغير المعنى و صار النداء خبرا.
و قد انتقد ابن مضاء هذه التقديرات واعتبرها لا حاجة للنحو بها، وقال إن إجماع النحويين على القول بالعوامل لا يعتبر حجة.

ـ اعترض ابن مضاء على متعلقات المجرورات وعلى تقدير الضمائر المستقرة في المشتقات، واعترض كذلك على ادعاء تقرر الضمائر المستترة في الأفعال.
ـ انتقاد تنازع العوامل عن المعمول.
ـ باب اشتغال العامل عن المعمول، أي اشتغال عن المفعول لضميره، نحو قولنا: زيدا ضربته.
ـ الدعوة إلى إلغاء العلل الثواني و الثوالث، وأوضح أن العلّة الأولى التي تصوّر الحكم النحوي هي العلّة التي يحتاجها متعلّم النحو حتى يقف على الحكم الإعرابي للفاعل، أما العلتان الثانية والثالثة ففرضيتان تقومان على مطلق الظن والتخمين، ولا ضرورة لهما في تعلّم النحو؛ بل هما تزيّد لا جدوى منه، ولا فائدة تنفع في النطق بالعربية.

ـ الدعوة إلى إلغاء القياس.
ـ الدعوة إلى إلغاء التمارين غير العملية.
ـ كما يرى ابن مضاء ضرورة إسقاط الاختلاف في ما لا يفيد نطقا من النحو، كاختلافهم في على رفع الفاعل و نصب المفعول.

وهكذا نجد المدرسة الأندلسية المغربية مهتمة بالنقل، أولا باختيارها المذهب الكوفي، وثانيها بمحاولتها جعل النحو على شكل المذهب الظاهري في الفقه، و بالعناية بدراسة المذهب البصري وكتاب سيبويه على الخصوص.

المدرسة النحوية الأندلسية والمغربية

المدرسة الأندلسية:

تطلق هذه المدرسة على الدراسات النحوية في الأندلس وشمال إفريقية وجزر كل من صقلية الإيطالية، وجزر الخالدات المسماة حالياً جزر الكناري المحتلة من إسبانية.

كانت الأندلس منذ فتحها سنة 93هـ منكبة إلى إخضاع البلاد للخلافة فحسب، فلما استقل بنو أمية بالأندلس على يد عبد الرحمن الداخل صقر قريش سنة 138هـ، استقبلت الأندلس عهدا جديدا، وبدأت الحركة العلمية تزدهر، فشجعوا العلماء على العلم، فاستحث ذلك دولة المغرب الأقصى دولة الأدارسة العلوية التي تأسست على يد إدريس بن عبد الله بن حسن في مدينة "وليلي" سنة 172هـ، وضمت إليها بلاد تلمسان، وفي شمال إفريقية دولة الأغالبة التي أسسها إبراهيم بن الأغلب التميمي المتوفى سنة 184هـ.

ثم قامت الدولة الفاطمية بالمغرب سنة 297هـ، وامتد نفوذها من المحيط الأطلسي إلى مصر سنة 358هـ، فنهضت المغرب تنافس الأندلس، بحكم قرب الجوار واتحاد اللغة والدين، لذلك تحمل الأندلسيون والمغاربة عناء السفر إلى المشرق ورووا عن علمائه واقتبسوا من معارفهم، إلا أنه كان للمغاربة فضل السبق على الأندلسيين لقرب بلادهم من المشرق وبعد الأندلسيين منه.

وأفرز هذا التنافس حركة في علم النحو في عهد الأمويين، والأغالبة والفاطميين، وازداد نموها وازدهارها في عصر ملوك الطوائف الذين تقاسموا بلاد الأندلس بينهم من سنة 428هـ، فكان منهم العلماء والمؤلفون، وفي خلال تلك الفترة كان للأندلس تأثير على بلاد المغرب انتعشت فيها الحركة العلمية، فظهر في الأندلس والمغرب علماء ضاهوا علماء المشرق، وانتشرت دراسة النحو في سائر البلاد، وأضحت الأندلس تساير العراق في الازدهار العلمي.

وفي القرنين السابع والثامن ظهر عدد من علماء النحو لم يستقروا جميعاً في الأندلس لأسباب سياسية بالدرجة الأولى، منهم ابن عصفور (تـ 663هـ)، وابن مالك (أبو عبد الله محمد جمال الدين بن عبد الله الطائي)، فقد رحل من الأندلس إلى الشام، استقر في الشام وتفرغ للتدريس في حلب ودمشق حيث توفي سنة (672هـ)، وهو صاحب (الألفية) المشهورة المسيطرة على مناهج التدريس النحوي على مر العصور. وابن الضائع (تـ 680هـ)، وأبو حيان الذي رحل الى المشرق واستقر في القاهرة حيث توفي سنة 745هـ .

وبعد استغناء الأندلسيين عن المشارقة واعتمادهم على ما توصلت إليه جهودهم، فإنهم عدلوا عن بعض آراء المشارقة في النحو وخالفوهم في منهاج تعليمه وتدوينه، واستدركوا

عليهم مسائل فاتتهم، وبذلك استحدثوا مذهبا رابعا عرف بمذهب المغاربة أو الأندلسيين، ظهرت مبادئه من أوائل القرن الخامس الهجري، الذي يعد فجر النهضة النحوية في هذه البلاد.

نشأت في عصر بني أمية بالأندلس (138-422هـ) طبقة كبيرة من المؤدبين الذين كانوا يعلمون في قرطبة وغيرها من الحواضر الأندلسية مبادئ العربية عن طريق مدارس النصوص والأشعار.

وكان أول نحاة الأندلس جودي بن عثمان المورووري، رحل إلى المشرق وتتلمذ الكسائي والفرّاء، وهو أول من أدخل إلى الأندلس كتب الكوفيين، وأول من صنف به في النحو، ودرسه لطلابه حتى وافته المنية سنة 198 للهجرة. وكان من معاصريه أبو عبد الله محمد بن عبد الله الذي رحل إلى المشرق، وأخذ بن عثمان بن سعيد المصري، المعروف باسم ورْش قراءته، وأدخلها إلى الأندلس، وكان عارفا بالعربية.

وكثر عدد هؤلاء القراء والمؤدبين في القرن الثالث الهجري. واشتهر منهم عبد الملك بن حبيب السلمى (تـ238هـ)، فكان إماماً في الفقه والحديث والنحو واللغة.، ومن مصنفاته كتاب إعراب القرآن.

وتأكّد في تاريخ النحو العربي أن الأندلس انصب اهتمامها في البداية بالنحو الكوفي إلى غاية القرن الثالث الهجري إلى أن رحل محمد بن موسى بن هاشم (تـ 307هـ) إلى المشرق ويلقي بمصر أبا جعفر الدينورى، ويأخذ عنه كتاب سيبويه رواية، ويعرضه على طلابه بقرطبة[124].

منهج المدرسة الأندلسية

يمكن تجسيد المنهج النحوي الأندلسي في النقاط التالية:

1) تأثر بعض منهم بالفلسفة والمنطق والكلام.

2) خالف نحاة الأندلس معظم النحاة السابقين من بصريين وكوفيين وبغداديين، وانتهاجهم نهج البغداديين في اختيار آراء الكوفيين والبصريين، وخلصوا إلى آراء جديدة. وأشهر ما نهج هذا النهج الشنتمري (تـ 476هـ). فكان لا يكتفي في الأحكام النحوية بالعلل الأولى بل كان يطلب علة ثانية للحكم.

([124]) المدارس النحوية: شوقي ضيف، دار المعارف: القاهرة، 1968م: 289.

3) أسهم النحو الأندلسي في تحرير بعض مباحث النحو وأبوابه ومصطلحاته وتذليل مشاكله وصعابه، كما فعل ابن مالك الذي كان رائد السماع، فهو لا يدلي بحكم دون سماع يسنده. كما كان يذكر الشواذ ولا يقيس عليها مثل الكوفيين، ولا يؤولها مثل البصريين، مع تذليله لمشاكل النحو.

4) ازدهار النحو على يد القالي، ومدارسة ما حمله من اللغة والنحو من المشرق.

أشهر نحاة الأندلس:

من أشهر نحاة هذه المدرسة، ابن سيدة المرسي (458هـ)، والسهيلي (581هـ)، وابن هشان الخضراوي (636هـ)، وابن مضاء القرطبي (592هـ)، وابن مالك صاحب الألفية المشهورة.

وكان ابن مالك النحوي كثير الاختيارات من مذاهب البصريين والكوفيين والبغداديين وسابقيه من النحاة الأندلسيين، وآراؤه الاجتهادية في النحو واضحة، كان يركز على مبدأ السماع. فلم يدلِ بحكم دون الاستناد إلى سماع متعلق به، ومن هنا كان لا يقيس على الشاذ، ولا يحاول تأويله، بل كان يكتفي بذكره فقط، أما استشهاداته فكانت أكثرها بالقرآن الكريم أولا وإذا لم يجد عدل إلى الحديث، فإن لم يجد عدل إلى شعر العرب ونثره.

وعُرف من أعلامهم أيضا أبو علي القالي مؤلف "الأمالي" و"البارع" و"فعلت وأفعلت" و"المقصور والممدود"، وابن القوطية صاحب كتاب "الأفعال"، وتتابع علماء الأندلس في شرح كتب المشرق المشهورة وشرح شواهدها، واشتهر من نحاتهم في المائة السابعة ابن خروف، وابن عصفور الإشبيلي، والشلوبيني، والبطليوسي، وابن الطراوة والسهيلي.

الاختلاف النحوي في المنظومات:

لقد ميّز العلماء القدامى بين النحو وتعليم النحو، ولجأوا إلى البحث عن وسائل لتسهيل النحو، وتيسير تعليمه، فاهتدوا إلى المنظومات.

وتندرج المنظومات النحوية ضمن غرض الشعر التعليمي الذي يهدف به ناظمه إلى تعليم الناس وتزويدهم بالحقائق والمعلومات المتعلقة بحياتهم[125]، مصدره العقل، ومنهجه الموضوعية، فهو يختلف عن الشعر؛ لأن الشعر مصدره العاطفة والخيال.

لم يخلُ لشعر العربي الجاهلي من الشعر التعليمي[126]، وأُثبت أنه عربي النشأة[127]. وأشارت بعض المصادر أن هذا النوع من الشعر لم يظهر إلا في القرن الثاني الهجري، بينما ذهبت مصادر أخرى إلى أنه نشأ نتيجة اتصال العرب بالثقافة الوافدة عليهم، إما الهندية أو اليونانية[128].

ومن الشعراء العرب القدامى الذين نظموا في العلوم والفنون، نجد الأخنس بن شهاب التغلبي (70 ق هـ) الذي نظم قصيدة في علم تقويم البلدان ذكر فيها قبائل نجد.

فمَنْ يكُ أمسى في البلاد مُقامُهُ ** يسائل أطـلالاً لها لا تُجـاوِبُ

فلابنة حِطَّان بن قيسٍ منازلُ ** كما نَمَّقَ العُنْوان في الرَّقِّ كاتبُ

ونظم عدي بن زيد العِبَادي (35 ق هـ) قصيدة في حقيقة الخلق، وقصةِ آدم وحواء وهبوطهما من الجنة، إذ يقول في مطلعها[129]:

اسمع حديثا كما يوما تُحدِّثُـه ** عن ظهر غيبٍ إذا ما سائلٌ سألا

أنْ كيف أَبْدى إلهُ الخلقِ نعمتَهُ ** فينا وعرَّفنا آيـاتِـهِ الأُوَلا

ونظم أمية بن أبي الصلت (5 هـ) مقطوعات في الشعر الديني، تدور حول التوحيد[130]، والإيمان بالله[131]، والموت[132]، والبعث والحساب[133]، وغير ذلك مما تضمنه ديوانه .

([125]) ينظر حول الشعر التعليمي: 206، مجلة الجامعة الإسلامية، السنة 13 ، العدد 52.

([126]) نفسه: 210.

([127]) من هؤلاء الدكتور طه حسين . ينظر حديث الأربعاء: 220/2.

([128]) ينظر ضحى الإسلام: أحمد أمين، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، 2004م: 245/1.

([129]) ينظر ديوان عدي بن زيد العبادي: جمع وتحقيق د. محمد جبار المعيبد، دار الجمهورية، بغداد،1965م: 158.

ونظم خالد بن يزيد ابن معاوية الأموي (85 هـ) في العصر الأموي منظومات في العلوم منها علم الكيمياء. هذا العلم[134].

وازدهر الشعر التعليمي في العصر العباسي فنُظمت به كثير من الفنون العلوم[135]؛ نظرا لازدهار العلم واتساع المعارف وازدياد الإقبال على العلم مما جعل المتعلمين يشعرون بحاجتهم إلى النظم ليسهل عليهم حفظ المعلومات وتداولها ونقلها؛ لكون النظم وسيلة سهلة للحفظ والرواية. وكانت جهود العلماء في هذا المجال كبيرة إذ فاقت المنظومات النحوية إلى نهاية القرن العاشر عن 140 منظومة.

أبدى بعض متعلِّمي النحو وبخاصة مع تفشي اللحن صعوبة في تعلمه، لأن علم النحو يُمثِّل صورة للُّغة العربية بجميع ظواهرها، واللغة العربية غنية وواسعة، ولهذا اجتهد العلماء في تسهيل ونشر علم النحو بالتعليم والتأليف، وكانت لغة التأليف السائدة هي النثر، فلجأوا إلى الاستثمار في الشعر في صياغة منظومات نحوية بإمكانها أن تسهم في تيسير تعليم النحو وحفظه؛ لأن الشعر أيسر للحفظ من النثر، فكان ذلك في نهاية القرن الثاني، ثم تضافرت الجهود توالت الأعمال في القرن السادس وما بعده فانتشرت المنظومات، فبرزت المنظومات الطويلة التي تتسم بجمع أصول علم النحو . وكثر إقبال طلاب العلم على حفظه.

ومن خصائص هذا النوع من الشعر أنه مبني على الأوزان الشعرية، فله أحكام الشعر إلا أنه لا يصح مقارنته من ناحية الجودة والجمال الفني بالشعر؛ لاختلاف الدوافع لكل منهما، ولاختلاف المصدر والمجال واللغة، لهذا فجودة المنظومات تكمن في كونها وسيلة تعليمية وفي قيمتها العلمية، تتسم بالاختصار وإيجاز العبارة، والتلميح لما تتطلبه الأوزان الشعرية، وبهذا فهي يختلف عن المتن العلمي المنثور.

([130]) ينظر ديوان أمية بن أبي الصلت: 343.

([131]) نفسه: 516.

([132]) نفسه: 386 .

([133]) نفسه: 379.

([134]) ينظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1397 هـ: 224/2.

([135]) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون المؤلف: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني، المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (تـ 1067هـ)، مكتبة المثنى – بغداد، 1941 م: 1865/2.

إذا كانت المنظومات وسيلة ناجحة على حمل التراث النحوي وتعليمه، فإنها لم تكن على مستوى واحد في القوة والثبات، إذ وتوجد بعض المنظومات ضعيفة ولم يدم رواجها طويلا، وبعضها تعدى رواجها قرونا عديدة، والمنظومات المستقلة التي لا ترتبط بكتاب آخر كثيرة؛ تجاوزت سبعين منظومة، ولم يلق منها ازدهارا ورواجا كبيرا إلا اثنتان: ملحة الإعراب للحريري، وألفية ابن مالك، وامتد هذا الرواج إلى عصرنا الحاضر وبخاصة في ألفية ابن مالك، لأنّ نظمها على بحر واحد سَهْل خفيف على السمع، وهو بحر الرجز، وبناء محورها على نظرية العامل المناسبة للفكر، إضافة إلى ترابط مسائلها وأبوابها بسبب الدقة في ترتيبها وتقسيمها، يضاف إلى هذا استيعابها لمعظم مسائل النحو والصرف مع صغر حجمها.

ونشأة النظم النحوي كانت في أواخر القرن الثاني الهجري، ومن أشهر الذين نظموا فيه:

ـ أحمد بن منصور بن الأَغَرِّ اليَشْكُرِيُّ(تـ 370 هـ)[136]، له أرجوزة في النحو والصرف في حدود 2911 بيتا[137].

ـ جمال الدين أبو القاسم يوسف بن محمد بن يوسف التَّوْزَريّ الرشيدي، المعروف بابن النحوي (تـ 513 هـ) [138]، له قصيدة نحوية أطلق عليها "اليوسفية"، تقع في ثمان وثلاثين بيتا.

ـ أبو محمد القاسم بن علي بن عثمان الحريري(تـ 516 هـ)، له منظومة أطلق عليها "ملحة الإعراب"، من 377 بيتا.

([136]) ينظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن العماد الحنبلي، تح الدكتور محمود الأرناءوط وعبد القادر الأرناءوط ، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1414 هـ: 377/4.

([137]) ينظر تذكرة النحاة، أبو حيان الأندلسي، تح الدكتور عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1406 هـ: 670.

([138]) ينظر جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، لأحمد بن القاضي المكناسي، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973 م: 552/2.

ـ مُهَذَّبُ الدين أبو المحاسن مُهَلَّب بن الحسن بن بركات الْمُهَلَّبِيُّ المصري (تـ 583هـ) [139]، له منظومة أطلق عليها "نظم الفرائد وحصر الشرائد"، من 99 بَيْتًا.

ـ الحسين بن أحمد بن خيران البغدادي (تـ 600 هـ) [140].

ـ ركن الدين أبو الفضل العراقي بن محمد العراقي القزويني الطاووسي (تـ 600 هـ) [141]، نظم المفصل للزمخشري.

ـ أبو المرجي سالم بن أحمد بن سالم بن أبي الصقر، المعروف بالْمُنْتَجِب (تـ 611 هـ) [142].

ـ أبو عمرو محمد بن عبد الله بن غَيَّاث الجذامي الشريشي (تـ 619 هـ).

ـ زين الدين أبو الحسين يحيى بن مُعْطٍ بن عبد النور(تـ 628 هـ) [143]، له منظومتان:

الأول المعروفة بـ "الدرة الألفية"، وهي من 1021 بيتا. والثانية بلغت أبياتها عشرة آلاف بيت[144].

ـ علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوي (تـ 643 هـ) [145]، نظم كتاب "الضوابط النحوية في علم العربية" لشرف الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله المرسيِّ.

ـ عز الدين أبو العباس أحمد بن علي بن مَعْقل الأزدي المهلبي الحمصي (تـ 644 هـ) [146]، نظم كتاب الإيضاح والتكملة لأبي علي الفارسي[147].

([139]) ينظر إنباه الرواة على أنباه النحاة، لجمال الدين علي بن يوسف القفطي، تح محمد أبي الفضل إبراهيم، طباعة ونشر دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1406 هـ: 333/3.

([140]) ينظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي، تح محمد أبي الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1384 هـ: 531/1.

([141]) ينظر وفيات الأعيان: 258/3.

([142]) ينظر معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تح الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1993م: معجم الأدباء: 1339/3.

([143]) ينظر وفيات الأعيان: 243/5.

([144]) ينظر الغرة المخفية شرح الدرة الألفية لابن الخباز: 133.

([145]) ينظر وفيات الأعيان: 340/3.

ـ أبو عمرو عثمان بن عمرو بن أبي بكر، المعروف بابن الحاجب (تـ 646هـ) [148]. له أرجوزة أطلق عليها "الوافية"، نظم فيها كتابه "الكافية" للملك الناصر داود بن الملك

ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين الموصلي الحنبلي، الْمُلَقَّبُ بِشُعْلَة (تـ 656 هـ)، [149]، له قصيدة نَظَمَ كتاب عقود اللمع لابن جني أطلق عليها "العنقود في نظم العقود".

ـ جمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف بن يحيى الصَّرْصَرِيّ الضرير (تـ 656 هـ)، له منظومة في العربية[150].

ـ جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الْجَيَّاني الأندلسي الأصل، المتوفى سنة 672 هـ[151]، له خمس منظومات في النحو والصرف، وهي على التوالي:

1) الكافية الشافية، وهي عبارة عن أرجوزة من 2757 بيتا، جُمِعت فيها مسائل النحو والصرف، بشكل مبسّط وميسّر، حتى ظهرت في صورة كافية عن كل كتابْ، وشافية في طلب النحو، قال في مستهلها[152]:

وهذِهِ أرجـوزة مستوفيَةْ ** عـن أكثر المصنَّفات مغـنِيَةْ

تكـونُ للمبتدئينَ تبصـرَةْ ** وتُظْفِرُ الذي انتهى بالتذكرَةْ

([146]) ينظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (تـ 911هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان/ صيدا: 348/1.

([147]) نفسه: 348/1.

([148]) ينظر وفيات الأعيان: 248/3.

([149]) ينظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي أبو الفلاح (تـ 1089هـ)، تح: محمود الأرناؤوط خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط1، 1406 هـ: 486/7 .

([150]) نفسه: 493/7 .

(151) ينظر وفوات الوفيات 407/3.

(152) ينظر شرح الكافية الشافية، محمد الحسيني الشيرازي، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، 2000م: 156/1.

2) الخلاصة، وَتُسَمَّى بالألفية، وهي اختصارٌ للكافية الشافية، وهي متن يضم غالب قواعد النحو والصرف العربيين يبلغ عدد أبياتها تسعمائة وثمان وثمانون بيتا، لها شهرة واسعة، حُظِيَتْ بالشرح من قِبَلِ عدد كبير من العلماء[153]، فقد أحصى بروكلمان تسعا وأربعين كتابا شرحت فيه الألفية[154]، مطلعها:

كلامنا لفظٌ مفيدٌ كاستقم ** اسمٌ وفعلٌ ثمّ حرفٌ الكلم

واحدُه كلمةٌ والقول عمّ ** وكلمة بها كلام قد يُؤم

بالجر والتنوين والندا وأل ** ومسند للاسم تمييزٌ حصل

3) الْمُؤَصَّلُ في نَظْمِ الْمُفَصَّل.

4) المفتاح في أبنية الأفعال، وَيطلق عليها "لامِيَّة الأفعال" من 114 بيتا، طبعت عدة مرات، ولها شروحات كثيرة[155].

5) الفوائد في النحو، وهي منظومة نحوية ليست على روي واحد، ضمها كتابه المسمَّى بـ" الفوائد النحوية والمقاصد المحوية"[156].

(153) ينظر وتاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان ، ترجمة مجموعة من الأساتذة، دار المعارف المصرية، طبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: 278/5 .

(154) نفسه: 278/5 .

(155) نفسه: 292/5 .

(156) ينظر وبغية الوعاة: 132/1.

المتون

التعريف بالمتن يقودنا إلى التفريق بين هذا المصطلح وبين مصطلحات كل من الشرح والحاشية والتقرير.

فمصطلح المتن يطلق على مبادئ فن من فنون جمعت في رسائل صغيرة، طابعها، الاختصار بعيدة عن الاستطراد، والتفصيل، والشواهد، والأمثلة إلا ما تقتضيه الضرورة.

أما مصطلح "الشرح" فهو عمل يتطلب توضيح ما أشكل من المتون، وتفصيل ما أُجمل منها، وهو يتراوح بين الطول والقصر والسهولة والعسر.

أما مصطلح "الحاشية"، فهو شروحات مطولة اقتضتها ظاهرة انتشار المتون والشروح، وتهدف إلى حل ما أشكل من الشرح، وتيسير ما صعب فيه، واستدراك ما فاته، والتنبيه على الخطأ، والإضافة القيمة، وزيادة الأمثلة والشواهد.

أما مصطلح "التقرير"، فهو بمثابة هوامش كان يسجلها العلماء والمصنفون على أطراف نسخهم تضم خواطر وأفكار حول موضوع معين أو مواضيع متعددة، وذلك أثناء قيامهم بالتدريس من الشروح والحواشي.

وصيغت المتون نثراً كما صيغت نظماً، وقد اشتهرت هذه المتون النثرية في تاريخ العلوم عامة، وفي تاريخ النحو خاصة، وهي متون اعتمدها الدارسون جيلاً بعد جيل يشرحونها ويعلمونها.

لعل أن البداية الفعلية لأول متن نحوي منثور مختصر كان في القرن الثاني الهجري، وكان خلف بن حيان الأحمر البصري (تـ 180هـ) أول من كتب مقدمة أو متناً منثوراً حين ألف كتابه الوجيز "مقدمة في النحو"، وبهذا تكون البداية للمتن المنظوم والمنثور واحدة تقريباً، إذ لم يفصل الخليل بن أحمد الذي ينسب إليه أول متن منظوم عن خلف الأحمر هذا إلا عشر سنوات.

أسباب ظهور المتون والشروح والحواشي والتقريرات:

ظهر هذا النوع من التأليف وتطور وكثر خاصة في عصري المماليك والعثمانيين، لدوافع منها:

1) الرغبة الملحة في التسهيل؛ ليمكن تعلم القواعد وتيسير حفظها واستيعابها، فجاءت المتون مختصرة ومقتصرة على الأسس العامة. ضبط أصول العلم بدقة وإحكام، ويكون

ذلك بجمع مادته ولمِّ شعثها بعبارات موجزة جامعة دقيقة يستطيع الدارس استيعابها بأقصر طريق وأقل زمان.

2) حرص علماء هذه العصور ولا سيما في عصري المماليك والعثمانيين اللذان كثرت فيهما هذا النوع من التأليف، لاستدراك الضائع من الكتب التي أحرقت في بغداد في أيام "هولاكو"، وبعد نكسة الأندلس.

3) هدف المتون في حفظ أصول العلوم، وتيسير تعليمها.

أشهر علماء المتون المنثورة

بالإضافة إلى خلف بن حيان الأحمر الذي كان له السبق في هذا النوع من التصنيف كما سبق ذكره، فلا بد من عرض بعض الأسماء الأعلام الذين كانت لهم متون نثرية، منهم:

ـ أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي (تـ 225هـ)، له متن في النحو بعنوان "المقدمة"، وأطلق عليه بعضهم "مختصر نحو المتعلمين".

ـ أبو علي أحمد بن جعفر الدينوري (تـ 289هـ)، له مختصر "المهذب"، تحاشى فيه الاختلافات، مكتفيا فيه بمذهب البصريين.

ـ أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان (تـ 299هـ)، ترك متناً نحوياً الموسوم " الموفقي في النحو".

ـ أبو جعفر النحاس (تـ 38هـ) صاحب كتاب "التفاحة"، يتميز بصغر الحجم.

ـ أبو الحسن أحمد بن فارس (تـ 395هـ)، له مقدمة في النحو.

ـ ابن بابشاذ النحوي (تـ 469هـ)، له أيضا مقدمة في النحو..

ـ أبوي الحسن علي بن فضال المجاشعي (تـ 479هـ)، له أيضا مقدمة نحوية.

ـ أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي (تـ 607هـ)، له مقدمة الجزولية التي تسمى بـ"القانون". وغيرهم من العلماء.

كما كثر التصنيف في المتون النحوية وشرحها في عصر المماليك، وأشهر ما ألف في هذا العصر:

- "الكافية " لابن الحاجب (تـ 646هـ).

ـ "المقدمة الآجرومية" المشهورة لأبي عبد الله محمد بن داود الصنهاجي المعروف بـ"ابن آجروم" (تـ 723هـ).

ـ المقدمة "الأزهرية" لخالد الأزهري (تـ 905هـ).

ـ " الجمل" لأبي القاسم الزجاجي (تـ 339هـ)، تحاشى الخلاف وكثرة التعليلات.

ـ " الجمل" في النحو لعبد القاهر الجرجاني (تـ 471هـ).

ومع تطور هذا النوع من التصنيف ظهر في وقت متأخر نوع يتميز بـ:

ـ البحث في موضوع واحد أو مسألة واحدة بإيجاز، ويمثله على سبيل الذكر كتابا "الشذا في أحكام كذا" لأبي حيان الأندلسي (تـ 745هـ)، و"أحكام (كل) وما تدل عليه" لتقي الدين السبكي (تـ 756هـ).

ـ التأليف على شكل إجابات على أسئلة نحوية، وخير من يمثل ذلك كتاب "الأجوبة المرضية عن الأسئلة النحوية" للراعي الأندلسي (تـ 853هـ).

ـ شرح بعض المؤلفين لمتونهم، منهم ابن هشام الأنصاري في شرحه على متني "قطر الندى" و "شذور الذهب"، وخالد الأزهري في شرحه لمقدمته "الأزهرية".

المصادر والمراجع

ر والمراجع

المصادر

(1) أخبار النحويين البصريين: الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، أبو سعيد (تـ 368هـ)، تح: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي - المدرسين بالأزهر الشريف، مصطفى البابي الحلبي، 1373هـ/1966م.

(2) الأشباه والنظائر: السيوطي، تح: عبد العال مكرّم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(1)، 1985م.

(3) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ياقوت الحموي (تـ626هـ)، تح إحسان عباس، دار الغرب الإسلامية، بيروت،(ط1)،1993م.

(4) الإمتاع والمؤانسة: أبو حيان (علي بن محمد بن العباس تـ حوالي 400هـ)، الليلة الثامنة، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت.

(5) أنباه الرواة على أنباه النحاة: القفطي جمال الدين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم يحيى، يحيى، المكتبة العصرية، ط1، 2004م.

(6) الإيضاح في علل النحو: أبو القاسم الزجاجي، (ت 337هـ)، تحقيق الدكتور مازن المبارك، ط5، دار النفائس، 1986م: 91.

(7) إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز و جل: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري(تـ328هـ)، تحقيق محي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق،1390هـ/1971م: 19/1.

(8) البداية والنهاية: ابن كثير(إسماعيل بن عمر الدمشقي، تـ774هـ)، القاهرة، 1348هـ.

(9) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (تـ 911هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان/ صيدا.

(10) البيان والتبيين: الجاحظ (أبو عثمان بن بحر محبوب الكناني، تـ225هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، 1368هـ، 1949م.

(11) تذكرة النحاة: أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تح: عفيف عبد الرحمن، مؤسسة ط 1، الرسالة، بيروت، 1406هـ / 1986م.

(12) تهذيب اللغة: أبو منصور الأزهري، تح عبد السلام محمد هارون ومحمد علي النجار، دار القومية العربية، 1964م.

(13) جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس: أحمد ابن القاضي المكناسي، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، م.1973

(14) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي (تـ 1093هـ)، تح: وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1418 هـ/1997م.

(15) الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (تـ 392هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4.

(16) شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي أبو الفلاح (تـ 1089هـ)، تح: محمود الأرناؤوط خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط1، 1406 هـ/1986م.

(17) شرح المفصل: ابن يعيش النحوي (تـ 643هـ)، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي القاهرة، (د.ت).

(18) الصاحبي في فقه اللّغة و مسائلها و سنن العرب في كلامها: ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن زكريا بن فارس تـ395هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، دط، دت. وطبعة بيروت

(19) الصاحبي: ابن فارس(ت 395 ه)، تحقيق: عمر الطباع، طبع(1)، مكتبة المعارف، بيروت، 1993م.

(20) صبح الأعشى: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي(تـ377ه)، ط(1)، تحقيق يوسف علي طويل، دار الفكر دمشق،1987م.

(21) طبقات النحويين واللغويين: الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله تـ989هـ)، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1373هـ/1954م.

(22) طبقات النحويين واللغويين: الزبيدي(أبو بكر محمد بن الحسن)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط(2)، 1984م. وطبعة 1973م.

(23) طبقات فحول الشعراء: ابن سلام (محمد بن سلام، تـ232هـ)، تحقيق محمود شاكر، القاهرة: دار المعارف،1952هـ.

(24) الفصول الخمسون: ابن معطي .يحيى، تحقيق : محمود محمد الطناحي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة، دط، د.ت.

(25) غاية النهاية في طبقات القراء: ابن الجزري(تـ833هـ)، ط(3)، دار الكتب العلمية: بيروت،1402هـ، 1982م.

(26) الصناعتين: أبوهلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (تـ 395هـ)، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، 1419هـ.

(27) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (تـ 1067هـ)، مكتبة المثنى، بغداد، وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية1941م.

(28) لحن العوام: أبو بكر الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله تـ989هـ)، تحقيق رمضان عبد التواب، المطبعة الكمالية، القاهرة، 1964م.

(29) اللّمع في العربية: ابن جني (ت392هـ) تحقيق: حامد المؤمن، ط(1)، مطبعة العاني، بغداد، 1982م.

(30) مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن مثنى(تـ210هـ)، ط(2)، تحقيق فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981م.

(31) المستتر في القرآت العشر: أبو الطاهر أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن سوار البغدادي(تـ496هـ)، تحقيق ودراسة عمار أمين الردو، دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث، ط(1)، 1426هـ/2005م.

(32) المزهر في علوم اللغة العربية و أنواعها: السيوطي(عبد الرحمان جلال الدين تـ911هـ)، تحقيق ج: جاد المولى وزميله، القاهرة، د ت.

(33) معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (تـ207ه)، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، د.ط، د.ت.

(34) معجم الأدباء- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ياقوت الحموي (تـ626هـ)، تحقيق إحسان عباس، 8/2. دار العرب الإسلامي: بيروت،1414هـ، 1993م.

(35) المقدمة: ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م.

(36) نزهة الألباب في *ط*بقات الأدباء: ابن الأنباري، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة الأندلس، بغداد، ط(2)، 1970م.

(37) نزهة الألباء في طبقات الأدباء: لابن الأنباري (أبو البركات عبد الرحمان بن محمد، تـ577هـ)، ط(1)، تح: إبراهيم السامرائي، بيروت، 1402هـ/1982م.

(38) همع الهوامع: تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، دت.

(39) وفيات الأعيان: ابن خلكان(تـ681هـ)، نشره محي الدين عبد الحميد، القاهرة،1367هـ، 1948م.

المراجع

(1) أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي: فتحي عبد الفتاح الدجني، الكويت، وكالة المطبوعات، 1974م.

(2) الأسلوب: أحمد الشايب، ط71، مطبعة السعادة، القاهرة، 1976م.

(3) وبنية العقل العربي: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط(3)، 1990م.

(4) تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان ، ترجمة مجموعة من الأساتذة، دار المعارف المصرية، طبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

(5)اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، والشعر التعليمي (ضمن مقالات منتخبة في علوم اللغة) .

(6) التطور والتجديد في الشعر الأموي .

(7) التفسير الكبير، الرازي، ط3، دار الفكر، بيروت، 1983م.

(8) تيسير وتكميل شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: محمد علي سلطاني، إعداد فئة من المدرسين، دار العلماء، دمشق(سورية).

(11) الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الوحدة، الكويت: 1977م.

(12) ديوان أمية بن أبي الصلت

ديوان عدي بن زيد العبادي .

(13) شرح الكافية الشافية، محمد الحسيني الشيرازي، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، 2000م.

(14) الشعر والشعراء: أبو العباس المبرد(أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر تـ286هـ)، دار المعارف.

(15) فجر الإسلام: أحمد أمين، دار الكتاب العرب، بيروت، ط(10)، 1969م.

(16) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية

(17) الغرة المخفية شرح الدرة الألفية لابن الخباز

(18) اللهجات العربية نشأة وتطورا: عبد الغفار حامد هلال، دار الفكر العربي، 1418هـ، 1989م.

(19) المدارس النحوية: د. خديجة الحديثي، ط3، دار الأمل - اربد – الأردن، 1422 هـ/ 2001م.

(20) المدارس النحوية: شوقي ضيف، دار المعارف: القاهرة، 1968م.

(21) مدرسة البصرة النحوية: عبد الرحمن السيد، ط(1)، دار المعارف، القاهرة، 1968م. التصريح على التوضيح: خالد الأزهري (تـ905هـ)، 1326هـ، القاهرة.

(22) المدارس النحوية أسطورة وواقع: د. إبراهيم السامرائي، دار الفكر، ط1، 1987م.

(23) مراحل تطور الدرس النحوي: د. عبدالله الخثران، دار المعرفة، 14993م.

(24) المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث: الأمير مصطفى الشهابي، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1988م.

(25) المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية: معجم عربي-أعجمي/أعجمي-عربي: محمد رشاد الحمزاوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1987م.

(26) المصطلح اللغوي في كتاب سيبويه: رسالة دكتوراه، للطالب: رقيق كمال، جامعة تلمسان 2013/2012.

(27) المصطلح النحوي، نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري: عوض محمد القوزي، الرياض، 1981م.

(28) المعرب والدخيل في اللغة العربية وآدابها:

(29) المفصل في تاريخ النحو العربي، الجزء الأول قبل سيبويه: محمد خير الحلواني، مؤسسة الرسالة، دط، دت.

(30) مكانة الخليل بن أحمد الفراهيدي في النحو العربي: جعفر عبابنة، دار الفكر، عمارة، ط(1)، 1984م.

(31) النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع عشر للهجرة، دار الحرية، بغداد، ط(1)، 1978م.

المعاجم

(1) تاج العروس: المرتضى الزبيدي، طبعة الكويت،1969م.

(2) جمهرة اللغة: محمد بن الحسن بن دريد أبو بكر، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين،1987م.

(3) لسان العرب، ابن منظور الإفريقي (ت711هـ)، دار لسان العرب، بيروت.

(4) مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.

(5) المعجم الوسيط: إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط(3)، 1998م.